١٠٦٦
1066
HARLEQUIN
دار م. النحاس

الحب المقدر

كارول مورتيمر

www.elromancia.com

مرمورية

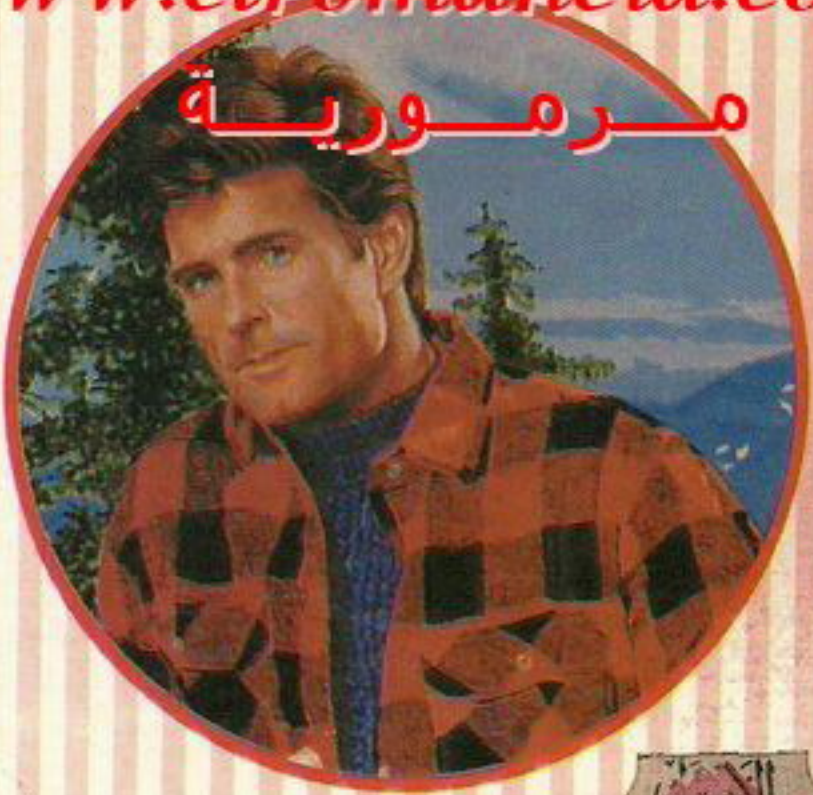

الأجنحة

الحب المقدر

كارول مورتيمر

تملك ريا ـ جين شعور بالوحدة والعجز وهي ترى نفسها ملقاة على رصيف الشارع تملؤها الرضوض ككلب تائه، بالرغم من ثيابها الثمينة المبعثرة على الرصيف. ولم يدهشها، نظراً إلى حظها السيىء على الدوام، أن تجد أن الشخص الذي مد لها يد العون، هو رجل متغطرس يدعى راف كوينلان.

ولم يصدق راف اسمها المستعار جين سميث، وهذا ما سبب له الضيق وملأه فضولاً لمعرفة ماضي ضيفته الغامض.

ولكنه، هو ايضاً، كانت له مشكلاته الخاصة، كما كان لجين تماماً.

ولم يمض وقت طويل، حتى ادركت جين انه، كلما طال بها الوقت في هذا المنزل، ازداد التجاذب بينهما، مما يشكل وضعاً خطيراً مبنياً على الكذب.

«إنني أعمل هنا سكرتيرة لك.»

فقال: «ولكنك أيضاً امرأة.»

رفعت حاجبيها ساخرة وهي تقول متحدية: «أحقاً؟ لم أدرك أنك لاحظت ذلك.»

نظر راف إليها، بكل بساطة، نظرة متمعنة جعلت الدم يندفع إلى وجنتيها.

كيف ظنت الحظة أن بإمكانها أن تتحدى هذا الرجل؟

www.elnadeem.com

كارول مورتيمر

كارول مورتيمر هي واحدة من اكثر الكاتبات الانكليزيات شعبية وغزارة في الانتاج. ابتدأت الكتابة لدار نشر هارلكوين سنة ١٩٧٩. تكتب روايات عاطفية تقليدية ذات طابع عصري. وقد اكسبتها طريقتها الناجحة في وضع الحبكة لرواياتها، وكذلك خلق الشخصيات العاطفية، شهرة عالمية.

وتعيش كارول الآن في جزيرة مان مع أسرتها وحيواناتها الأليفة. وهي تقول إن أعمالها المنزلية الجمة تساعدها على استلهام كتاباتها.

عبير ١٠٦٦

Abir 1066

الحب المقدر

كارول مورتيمر

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

تمهيد

هذا غير معقول. هي التي كانت إلى عهد قريب جداً، تعيش بين أحضان الرفاهية والدلال، تستلقي الآن في قناة الرصيف، بين الأوراق القذرة المتراكمة والعلب الفارغة التي تجرفها مياه الأمطار في طريقها إلى مصرف المياه المحاذي للرصيف على بُعد عدة اقدام. هذا، بينما المطر يتابع هطوله بغزارة في ذلك الشارع المعتم.

لقد حاولت أن تنهض فلم تستطع، ذلك أن الألم في وركها الذي سقطت عليه، كان شديداً، وعندما استطاعت الوقوف بدأ الألم في كاحلها، لهذا فضلت أن تبقى مستلقية حيث هي.

لا شك أن جوردان كان سيضحك ملء شدقيه وهو يراها هكذا، كسيرة القلب ملقاة في قناة الشارع بينما المطر ينهمر عليها بغزارة. هذا لا يعني أنه رجل قاسي القلب، وإنما لأن ما سبق وحذرها منه من أنها ستسقط على أم رأسها يوماً ما، قد تحقق هذه اللحظة، حتى أن حقيبة ثيابها قد انفتحت عندما سقطت من يدها، لتتناثر ثيابها الجميلة التي طالما انتقدها جوردان لأجلها، قائلاً بأنها تنفق كثيراً من النقود عليها، تتناثر الآن على الطريق في الأوحال ومياه المطر.

وارتفع صوت خشن يقول بعصبية: «لم يكن ينقصني سوى امرأة مصابة بنوبة هستيرية. انهضي يا امرأة قبل أن تأتي سيارة أخرى تنهي ما بدأته أنا.»

كانت قد نسيت، في غمرة التعاسة التي تملكتها، تلك السيارة التي

برزت فجأة من وراء المنعطف، مما جعلها تتراجع فجأة على الرصيف فتتعثر وتقع بسبب سير عجلات السيارة في مستنقع ماء موحل، فتفقد توازنها وتقع على وركها ويلتوي كاحلها.

كانت السيارة قد وقفت على بعد أمتار قليلة منها وقد أخذت أضواؤها الخلفية تلتمع كعيون حمراء في ذلك الظلام، كما أن المحرك بقي يعمل.

ردت عليه بحدة: «لو كان بإمكاني النهوض، لفعلت، ولكن يبدو أنك تسببت في جعلي عاجزة عن الحركة.»

«ولكن سيارتي لم تمسّك، وإنما أنت نزلت عن الرصيف بدون أن تنظري أمامك، فتزحلقت أثناء محاولتك تجنبها.»

حتى الآن، لم يكن كلامه بعيداً عن الحقيقة، ولكن، حتى ولو كان هذا صحيحاً، ما الذي يدفعه إلى التحدث إليها بمثل هذه الغطرسة؟

وارتفع صوت يقول له: «لقد ضربتها سيارتك. هذا واضح لأي كان.»

من الغريب أن هذا الشارع الخلفي في لندن، والذي كان خالياً تماماً منذ ثوانٍ قليلة فقط، قد أصبح الآن مأهولاً بجماعة من المارة أحاطوا بها يتفرجون على ما يجري.

وحدق سائق السيارة في المتكلم وهو يقول: «لا أظن أن بإمكانك أن تدلي بأي رأي في هذا الشأن حيث أنك لم تكن موجوداً أثناء الحادث.»

وكان وجهه غير واضح في تلك الظلال التي تكسوه، ولكن عينيه كانتا تلمعان من الغضب.

تحركت بحذر، إذ كان الألم في كاحلها يخزها، هذا إلى جانب تلك الآلام الرهيبة في وركها. ولهثت من الألم وهي تقول: «لا أظنني استطيع النهوض.»

وعاد صوت الرجل الأول يقول: «لا بد أن ثمة كسراً أصابها. لا أظن أن عليك أن تتحركي، ومن الأفضل أن تنتظري حضور الشرطة لكي...»

فرد عليه السائق بازدراء: «الشرطة؟ ليس هناك حاجة إلى إدخال الشرطة في الموضوع.»

فعاد الرجل يقول: «طبعاً هناك حاجة للشرطة. فقد صدمت أنت هذه السيدة الشابة فأوقعتها...»

فقاطعه السائق: «إنني لم أفعل ذلك.»

قال الرجل: «بل إنك فعلت.»

رد عليه قائلاً: «كلا، إنني...»

مد ذراعيه ليمسكها برفق وهو يقول: «تعالي. إنني آسف.» قال ذلك عندما تأوهت متألمة، ثم تابع مخاطباً الجمع: «إنني سأقدم العناية إلى هذه السيدة الشابة.»

نقلها برشاقة ليضعها في مقعد سيارته قديمة الطراز من نوع جاكوار، وقبل أن يصفق الباب قالت بلهفة: «ثيابي.»

عبس مرة ثانية وهو ينظر إلى الخلف حيث كانت الحقيبة المفتوحة، ولكنه عاد إليها حيث جمع ثيابها ليدسها، كيفما اتفق، في الحقيبة.

ولكنها ما لبثت أن شعرت بالإرتياح إذ تفرق ذلك الجمع، ولكن، ما ان ارتفع غطاء صندوق السيارة، ليغلق مرة أخرى بعد وضع حقيبتها، حتى انتبهت إلى أي حد أصبحت بمفردها مع هذا الرجل... وأدركت أنها لن تستطيع الهرب منه وذلك للألم الذي في وركها، وكذلك الذي في كاحلها.

وإذا ظهر، فيما بعد، أنه خاطف، فهي لا تظن أن أحداً سيدفع فديتها التي سيطالب بها. فهي تشك كثيراً فيما إذا كان جوردان سيهتم بدفعها لكي تعود إليه.

الفصل الأول

«جين سميث!»

كانت رافعة رأسها قليلاً، شاعرة بالاحمرار يلون وجنتيها وهي تعطي هذا الاسم للممرضة التي وقفت إلى جانبها تأخذ افادتها قبل ان يأتي الطبيب. لقد شعرت، عند ذاك، بسخرية ذلك الرجل الجالس بجانبها، ولكنه، لحسن الحظ، انتظر الى ان خرجت الممرضة لكي يعبر عن سخريته هذه.

وتساءلت عما كان سيشعر به لو انها اعطت الممرضة اسمها الكامل. وهذا ما ليس في نيتها ان تفعله لسببين: الأول ان اسمها طويل، أما السبب الثاني، فهو يعتمد على ما اذا كان قد سبق وسمع باسم اسرتها من قبل. فاذا لم يكن ذلك، فالاسم لن يعني له شيئاً. كذلك تعلمت، خلال الأسبوع الماضي، ان استعمال اسمها الكامل، في ظروف معينة، لن يفيدها في شيء.

وكان عليها ان تعترف بأنها شعرت بشيء من الارتياح عندما اخذها، مباشرة، الى قسم الطوارىء في مستشفى مشهور، رغم انها كانت تعلم، حتى قبل ان يراها الطبيب بأن ليس ثمة كسور في جسمها، وانما مجرد رضوض سيئة مما كان يسبب لها كل تلك الأوجاع.

لقد شعرت بالراحة الآن بعد ان تأكدت من زوال خطر الخطف الذي خافت منه، اذ، على العكس، كان يبدو على هذا

الرجل وكأنه يريد الخلاص من مسؤوليتها بأسرع ما يمكن.

ومن خلال انوار المستشفى المتألقة، بدا على هذا الرجل شبهه ببطلها هيثكليف اكثر وضوحاً مما ظنت في البداية. فقد كان شعره بنياً قاتماً يقرب من السواد، وقد انحدرت تجعداته الى ما تحت اذنيه وفوق ياقة القميص، وكانت عيناه الرماديتان تشعان بالحيوية بشكل يفوق بشرته البرونزية... كان وجهه قوياً قاسياً، وكان مليئاً بالخطوط والأخاديد العميقة، او، كما قد ينطبق عليها وصف جوردان لها بالخطوط المميزة للشخصية.

كان يبدو اكبر قليلاً من سني جوردان الثلاثين، وربما كان في اواسط الثلاثينات. وبدا من سيارته القديمة الطراز، الى الجاكتة القديمة التي يرتديها، بدا لها شخصاً لا يهتم بالمظاهر، ولكن، في نفس الوقت، كان ثمة جاذبية قوية تشع منه.

انه أكبر منها بخمسة عشر عاماً على الأقل، ومع هذا، كان من الغريب ان تشعر بالفضول يتملكها لتعرف كل شيء عنه...

لا بد أنه متزوج بالطبع، او ربما هو مطلق، فاذا لم يكن احد الأمرين، في سنه هذا، فربما كان يكره النساء... ولكن، كلا، انها لا تعتقد هذا، ذلك انه اذا كان قد بدا منه شيء من الضيق بها، فهذا لا يعني ان ضيقه ذاك يشمل جميع النساء.

تساءلت عما يمكن ان يكون عليه شكل زوجته، او مطلقته! ربما هي شقراء طويلة القامة قوية الشخصية مثله.

وطبعاً، لا يمكن ان يكون هو قد احتفظ بمتانة عضلاته من جراء لعبة الغولف، كما يحاول كثير من الرجال فيفشلون.

ربما زوجته لم تكن تشاركه هواياته ابداً. وربما كان هذا هو السبب في طلاقهما.

يا للسخافة. ماذا حدث لها؟

لقد افترضت ان هذا الرجل قد تزوج ثم طلق زوجته، وذلك قبل ان تعرف حتى اسمه.

قالت له وهي تمد يدها اليه للتعارف، مادحة باسمها هذا والذي كان، على كل حال، جزءاً من اسمها الحقيقي: «انه اسم انكليزي لطيف. اظن اننا لم نتعارف بعد.»

التوى فمه لهذه الرسميات المفاجئة بعد كل ما حدث، ورأت في عينيه نظرة ساخرة وكأنه يراها فتاة صغيرة وقحة. كانت ذات جسد يبدو غلامياً في بنطال الجينز هذا والجاكتة الصوفية، وكان شعرها الأحمر الداكن الذي تنزل تجعداته الثائرة الى وسطها، تقريباً وقد بدا اسوأ ما يكون، هذا المساء من جراء الريح والمطر. وكانت عيناها الفيروزيتان تتألقان في وجهها البيضاوي الجميل والذي كان خالياً من اية زينة، اذ كان الشعور بالإحباط قد منعها من اتخاذ زينتها المعتادة وهي عائدة الى جوردان، لشماتته المتوقعة بها بأنه سبق وحذرها مما ستلاقيه من فشل.

وبدلاً من ذلك، ها هي جالسة في غرفة الانتظار في المستشفى مع رجل يبدو عليه وكأنه يهم بأن يمسك بشعرها الطويل هذا ويلفه حول عنقها ليخنقها به.

رد عليها بجفاء: «اسمي راف كوينلان، ولم يسبق ان اهتممت قط بأصل اسمي هذا.»

فكرت في ان معنى كلامه، هو انه لن يبدأ بذلك الآن.

راف كوينلان... حتى اسمه كان غريباً يبعث على الاهتمام.

ولما لم يمد يده ليصافح يدها الممدودة، سقطت يدها هذه الى جانبها.

وقالت له بازدراء لهذا الرفض منه: «هل تراني أخرتك عن اداء عمل ما؟»

رد عليها ببرود قائلاً: «نعم.»

فهو لم يكن جافاً فقط، وانما كان فظاً ايضاً.

تنفست بغضب قائلة: «انني لم ارغب في ان توقعني سيارتك ارضاً...»

فانفجر فيها قائلاً وعيناه الرماديتان تنفثان الغضب: «يا عزيزتي الآنسة سميث. ان سيارتي لم توقعك ارضاً، بل انه أنت التي...»

وقاطعتهما ممرضة صغيرة قائلة بحزم: «ان الطبيب سيراك الآن.» وألقت على راف كوينلان نظرة استحسان وهي تدفع امامها الكرسي ذي العجلات والذي اصر هو على احضاره حين وصلا الى غرفة الفحص. وتابعت الممرضة قائلة له: «هل عندك مانع من ان ترافق زوجتك؟»

ورفعت جين سميث حاجبيها مستغربة وهي تتساءل عما اذا كانا يبدوان زوجين حقاً.

بدا على راف كوينلان الازدراء لهذا الافتراض من الممرضة، هو ايضاً، واوشك ان يدلي بجواب لاذع.

وهنا تذكرت جوردان حين كان يدعوها بالمشاكسة، فالتفتت إلى راف كوينلان قائلة وهي تمنحه ابتسامة حلوة: «اود حقاً لو انك تأتي معي يا حبيبي.» وكانت لهجتها تنطق

بالحب وهي ترسم على ملامحها تعبير الأسى والشعور بالهجران، ثم تابعت قولها هذا، بصوت أشبه ما يكون بصوت فتاة صغيرة ملؤه الأسى: «انني خائفة قليلاً.»

بدا وكأنه يهم ان يجابهها برأيه في خوفها الكاذب هذا، ولكن نظرة الممرضة الصغيرة اليه، تنتظر منه ان يتبعهما، جعلته يطبق فمه، ليقول اخيراً بحزم وهو يلحق بهما: «طبعاً، يا حبيبتي.»

ألقت عليه جين نظرة ماكرة وهم في طريقهم الى غرفة الفحص، ولكنه بادلها نظرتها تلك بنظرة تحوي تهديداً بعقوبة ما.

وجاءت هذه العقوبة بسرعة اكبر مما توقعا، هما الاثنين، ومن ناحية مختلفة، حين قالت لها الممرضة: «هل لك بأن تدعي زوجك يخلع عنك ثيابك ويضعك على سرير الفحص، ريثما اخبر الطبيب انك هنا، يا سيدة سميث؟» وقبل ان يجد أي منهما الفرصة للرد عليها، كانت هي قد استدارت خارجة من الغرفة.

يصفون الصمت العميق، احياناً، بأنه يصم الآذان! وكانت جين تعجب لغرابة هذا الوصف والمبالغة فيه... ولكن الصمت الذي عم الغرفة بعد ان اغلقت الممرضة بابها عليهما، كان صمتاً من هذا النوع.

اختلست نظرة من تحت اهدابها إلى وجهه، ولكن مظهر البراءة الذي ساد ملامحه، لم يخدعها لحظة واحدة، بل على العكس، بدا أن غضبه منها قد استحال الآن إلى سخرية وهو يقول مرحاً ببطء، وقد بداء أصغر سناً: «حسناً، يا سيدة سميث! هل تريدين مني ان أساعدك في خلع ملابسك و...»

www.elromancia.com

وقاطعته آمرة بحزم: «أخرج.»

فقال محتجاً: «ولكن...»

وعادت تقاطعه: «اخرج.» كان امرها الآن حاسماً لا يقبل الجدال. وابتسم هو إزاء ضيقها هذا، واستدار ليخرج، متمهلاً، ثم وقف عند الباب قائلاً: «إذا كنت متأكدة... حسناً، سأعود بعد انقضاء وقت مناسب. ويبدو ان الممرضة ابتدأت تشك في عواطفي الزوجية نحوك، فاذا انا اختفيت الآن، فستظن انني لا أهتم بك مثقال ذرة... ما هذا؟»

ورفع حاجبيه وهو يسمعها تغمغم، ثم قال: «هل قلت شيئاً يا حبيبتي؟ لا أسمعك جيداً.»

فتابعت غمغمتها قائلة: «ان كل شخص موجود في هذا القسم سيسمع صوتي إن لم تخرج حالاً.»

دوّت ضحكته الخشنة في الممر، وعلمت جين ان ما أرادت به اغاظته، ونجحت به تماماً، قد انقلب ضدها هي. لم يكن جوردان يفهم روح النكتة عندها، وليس فقط الرد على ذلك. وفي الحقيقة، شعرت بأن هذا الرجل هو ظريف حقاً وفيه شيء مختلف عن غيره، ولكنها لا تنوي، بالطبع، أن تصارحه بهذا، فقد كان في منتهى الغطرسة حتى دون ان يعرف هذا عن نفسه.

وفي الحقيقة، كادت ان تشعر بالأسف لخروجه من الغرفة، بعد أن اكتشفت، بسرعة، ان آلام الرضوض في جسدها، تزداد مع كل حركة. وان التخلص من جاكتتها الثقيلة وبنطالها الجينز سيساعدها حتماً، حتى ولو ساعدها راف كوينلان في هذا. وعندما تخلصت من ملابسها، وغطت جسدها بالملاءة، كانت دموعها تبلل

وجنتيها لشدة الألم الذي عانته اثناء ذلك، وقبل كل شيء كانت تشعر بالغثيان.

وعندما دخل راف الغرفة، القى على وجهها نظرة واحدة، ثم اسرع يحضر الاناء المخصص لذلك، فيضعه على جانب وجهها في الوقت المناسب حيث افرغت فيه كل محتويات معدتها.

وعندما انتهت، عادت تريح رأسها على الوسادة، وهي تقول، خجلى من نفسها: «انني آسفة.»

فأجابها وهو يجتاز الغرفة: «لا عليك.» بينما اغمضت هي عينيها بضعف.

ولم تلمه جين اذ رأته يغادر الغرفة مشمئزاً، فهي نفسها لا تستطيع احتمال رؤية شخص يتقيأ. ولا بد ان السقوط في القناة اثر عليها اكثر مما ظنت.

فتحت عينيها دهشة وهي تشعر بخرقة مبلولة تمر على وجنتيها الحارتين. وتشابكت العينان الزرقاوان بالعينين الرماديتين اللتين كانتا من القرب بحيث امكنها ان ترى اهداب راف كوينلان الطويلة.

وقالت له بخشونة: «ظننتك غادرت الغرفة.»

فأجاب وهو يهز رأسه مقطبا جبينه: «كلا... ان منظرك سيىء جداً.»

فعادت تغمض عينيها وهي تبتسم بضعف، ثم ما لبثت ان عبست قائلة: «شكراً. انني لم أدرك...»

«السيدة سميث؟» جاء هذا الصوت من شاب يشبه شعره شعر جين تقريباً، بلونه الأحمر، قد دخل إلى الغرفة تتبعه الممرضة. وتابع قائلاً يقدم نفسه بكل ثقة: «انني الدكتور يانغ.»

كانت جين قد سبق وأدركت هذا، ربما بسبب الشارة الملصقة على صدر معطفه الأبيض والمكتوب عليها د. ب. يانغ.

أجابته وقد ادركها التعب من عبثها ذاك: «انني لست السيدة سميث.»

فأومأ الطبيب برأسه قائلاً: «آه، اذن فأنتما لستما متزوجين؟»

وفكرت هي في ان هذا واضح. فقد كانت هي فتاة مشاكسة، وكانت تدرك هذا. يا ليتها لا تشعر بكل ذلك الغثيان.

أجابت وهي تتأوه: «كلا.»

فقال الطبيب: «هذا غير مهم.» وابتسم لها مطمئناً وهو يتابع: «المهم هو، هل تريدين السيد...»

فأسرع راف يقدم نفسه: «راف كوينلان.»

فتابع الطبيب يقول: «حسناً، المهم، هل تريدين ان يبقى السيد كوينلان في الغرفة، معك أثناء الفحص؟»

فأجابت: «ولكنني...»

فقاطعها راف ونظراته تلاقي نظراتها بحزم: «انني سأبقى هنا.»

وفي الحقيقة، كان الغثيان وما تبعه، قد جعلها من التعب والارهاق بحيث لم تعد تهتم بأي شيء.

عبس الطبيب قليلاً وهو يقول بعدما قام بفحص كاحلها: «انها رضة سيئة كما أرى، على كل حال، فسنأخذ لها صورة بالأشعة، وذلك للاطمئنان. أظن ان وركك هو المكان الثاني المصاب.» وجذب، وهو يقول هذا، الملاءة، لكي يقوم بفحص المنطقة.

كان الألم في وركها فظيعاً. وفي الواقع، ابتدأت تشعر بالغثيان وهي في السيارة في طريقها الى المستشفى، وذلك بسبب هذا الألم. ولكنها عندما ركزت اهتمامها من قبل، على خلع ملابسها، لم تحاول ان تنظر إلى وركها، كما فعلت الآن، ويا ليتها لم تفعل.

كان وركها أسود ضارباً إلى الزرقة لعنف الرضة، ليس فقط عظم الحوض، وانما صعوداً إلى بطنها وفخذيها، وكان منظر ذلك مروعاً.

وعندما لم يعد باستطاعتها احتمال جسّ الطبيب وتحريكه لوركها، استقام هذا واقفاً وهو يقول: «حسناً، يبدو وكأنك كنت محظوظة تماماً، أيتها السيدة الشابة. إذ لا أظن ان ثمة كسراً في جسمك، لقد حدث لك ذلك أثناء سقوطك على الطريق، كما علمت؟»

فأومأت بالايجاب، قائلة: «نعم، لقد تعثرت فوقعت فوق الرصيف.»

فتابع الطبيب قائلاً وقد قطب جبينه: «يبدو ان الرضوض اكثر عنفاً مما ينتج، عادة، عن سقطة من هذا النوع.»

واندفع الدم الى وجنتيها وهي تحس بما يعنيه الطبيب من وراء هذا السؤال. واختلست نظرة إلى راف الذي ارتعش فمه بعد ان احس هو ايضاً بارتياب الطبيب في الأمر. من المستحيل ان يظن الطبيب ان يكون راف قد فعل بها هذا.

قالت للطبيب بحزم: «لقد وقعت في الشارع، وساعدني السيد كوينلان، بكرم أخلاق، باحضاري الى هنا بسيارته.»

لقد كان آخر شيء تريده، هو التورط مع الشرطة لحادث وقع بالصدفة.

www.elromancia.com

ولكن الطبيب يبدو غير مقتنع بذلك، ولكن، لم يكن بيده حيلة إزاء اصرارها. فقال برقة: «حسناً، سنأخذ صوراً بالأشعة للكاحل والورك للاطمئنان، وبعد ان نرى الصور نقرر ما الذي سنقوم به نحوك.»

وأحست بالتشاؤم من لهجته تلك. ماذا يقصد بقوله (يقرر ما الذي سيقوم به نحوها!)

ولم يكن لديها فرصة تسأل فيها الطبيب، او الممرضة هذاالسؤال، فقد ذهب الطبيب إلى مريض آخر، أما الممرضة، فقد خرجت تنجز امر صور الأشعة.

وعندما أصبحا بمفردهما، هي وراف، لم تستطع النظر في وجهه مباشرة وذلك بعد ارتياب الطبيب به منذ دقائق.

اقترب منها قائلاً بهدوء: «لم تكن لدي فكرة عن مدى الأثر الذي تركته هذه الرضوض في جسمك.»

أجابت: «ان جسمي سريع التأثر بالرضوض.»

فهز رأسه قائلاً: «لا بد أن السقطة كانت ثقيلة، أو ربما كنت قد صدمتك حقاً بسيارتي...»

فقالت وهي تشعر بالشك في صوته: «كلا، لقد سبق وقلت أنا ذلك لأن خشونة صراحتك ضايقتني.»

فقال: «ومع ذلك، لو أنني لم أكن أقود السيارة حول المنعطف بمثل تلك السرعة...»

قاطعته ساخطة: «انك لم تكن مسرعاً.»

قال: «ولكن...»

فقالت بهدوء: «صدقني يا سيد كوينلان، ان ما أصابني لم يكن غلطتك.»

لوى فمه قائلاً: «ومع هذا، فانني مسؤول عنك...»

فقاطعته بلهجة اعنف مما يتطلبه الموقف: «انني أنا المسؤولة عن نفسي.» وشعرت بالتعب لكثرة ما قيل لها بأنها ليست اهلاً للعناية بنفسها.

من المؤكد أن ما حصل لم يكن مسؤولية اي شخص. وتابعت تقول: «انني شاكرة لك احضاري الى هنا، ولكن صدقني، ليس ثمة سبب يجعلك تهدر وقتك معي اكثر من ذلك.»

فأجاب وهويتأمل لمعان شعرها: «لقد كنت، فقط، عائداً إلى منزلي.»

فقالت: «إذن، فزوجتك...»

قاطعها باقتضاب: «لست متزوجاً.»

لم تستطع جين منع نفسها من التساؤل عن السبب في ذلك. الا اذا كان الأمر، كما سبق وافترضت من قبل، انه مطلق، فهذا هو التفسير الوحيد، ولكن، أن يسرع شخص يعيش بمفرده، إلى منزله، أثار فضولها... ربما لأنه لم يكن يتصنع شيئاً... حتى ولا بعض التهذيب! لا بد أن جوردان لو عرفه، كان سيعتبره غاية في الفظاظة. ولكن جوردان نفسه كان فظاً في بعض الأحيان.

وعادت تقول: «ومع هذا، فان صور الأشعة ستستغرق بعض الوقت، وأنا لا أريد أن أعيقك أكثر مما فعلت.»

فأجاب: «انك...»

قطع عليهما الحديث صوت الممرضة يقول: «لا تكلفي نفسك عناء ارتداء ثيابك، يا آنسة سميث.» وكانت هذه قد دخلت الغرفة وأخذت ترفع ثياب جين المرمية على الأرض وهي تتابع: «عليك الذهاب إلى قسم التصوير.»

www.elromancia.com

وبالطبع، لم تكن جين، تنوي أن تعيد ارتداء ثيابها امام راف كوينلان، حتى ولو لم يكن الشعور بالغثيان مازال يهددها.

ربما لأن الوقت كان ليلاً، وليس ثمة عمل كثير في المستشفى، ربما لهذا، أجريت صور الأشعة، واعطي التشخيص في خلال دقائق. ولم يكن ثمة كسور، ولكن فقط رضوض عنيفة، وحتى هذا جعل جين ترتجف من فكرة اعادة ارتداء ثيابها لما سيسببه لها من آلام.

ولا بد ان شيئاً من كربها ذاك بدا في شحوب وجهها، لأن الطبيب الشاب سارع يقول مبتسماً: «ان بامكاننا، بالطبع، ان نوفر لك سريراً في المستشفى لهذه الليلة، ولو من باب الاحتياط.»

كان هذا يعني ادخالها المستشفى، بينما لم تكن هي تريد ذلك. ولكنها متأكدة من ان الطبيب يعلم، كما تعلم هي، أن العنوان الذي اعطتهم اياه، كان عنوان فندق قد سبق وحجزت غرفة فيه ذلك النهار.

سألته: «وهل هذا ضروري؟» وكان راف قد رافقها إلى مدخل قسم الأشعة. ثم بقي بجانبها اثناء كتابة الطبيب تقريره عن اصابتها. فقال يسأل الطبيب بلهجة الشخص المسيطر: «هل يسمح للآنسة سميث بأن تترك المستشفى اذا تيسرت لها العناية اللازمة؟»

بدا على الطبيب شيء من الضيق لهذه المقاطعة، وبدا انه مازال غير مقتنع ببراءة هذا الرجل بالنسبة لهذه المسألة، وما زالت في نفسه ريبة خفية من ناحيته. ولكنه قال ببطء مبدياً القبول: «أظن ذلك، ولكن بما أنها....»

فقاطعه راف بغطرسة: «إن ثمة مكاناً تذهب اليه الآنسة سميث.»

حتى جين نفسها نظرت اليه بشيء من الدهشة. فاذا كان ذلك المكان الذي ذكره، هو بيته، فعليه ان لا ينتظر منها القبول. ربما كانت هي تشعر بالضعف، ولكنها ليست بالعاجزة.

ولكن، اذا كانت موافقتها على اقتراحه، يخلصها من البقاء في المستشفى، فان باستطاعتها تدبير امرها مع راف حالما تصبح خارج المستشفى.

وبعد، فإنها غير مرغمة على أن تذهب إلى أي مكان، أو تقوم بأي شيء لا تريد القيام به.

إذ أنها، بعد سنوات كانت تتلقى فيها الأوامر، اصبحت، في النهاية، حرة في حياتها والخيار قد اصبح في يدها لفعل ما تريد، بصرف النظر عن أن معظم ما قامت به في الأسبوع الأخير، كان عبارة عن كارثة.

«آنسة سميث، آنسة سميث.» أفاقت من شرودها هذا إزاء تنبيه الطبيب الحازم لها.

رفعت نظرها لتجدهم جميعاً ينظرون اليها. الممرضة بلطف، والطبيب متسائلاً، وراف كوينلان متحدياً، واستوقف هذا الأخير انتباهها. وسألها الطبيب بإصرار: «هل ما يقترحه السيد كوينلان، مقبول لديك؟»

كان الطبيب المسكين مايزال شبه مقتنع بأن راف كوينلان قد ضربها واحدث في جسدها هذا الأثر المريع.

وكان كوينلان واعياً تماماً لما يدور في ذهن الطبيب من اتهام له.

www.elromancia.com

وأخيراً، أجابت جين: «نعم، انه مقبول مني.»

وكان في هذا الجواب ما بعث الارتياح في نفس راف! والرد على اتهام الطبيب الذي لم يكن امامه سوى الاذعان، فوقف ليخرج، وهو يقول: «اذا شعرت بأي ازعاج، فيما بعد، فعودي الى هنا، او راجعي طبيبك الخاص.»

وعندما خرجا، تمتم راف في الظلام، عابساً: «أي ازعاج فيما بعد، يعني به أي مزيد من ضربي لك.»

جلست جين بقربه في سيارته الجاكوار. وكان خروجهما من المستشفى قد تم دون اية صعوبة بعد ان ساعدتها الممرضة على ارتداء ثيابها.

وفي الحقيقة، فقد كان شعور جين بالتعب، الآن، لا يعتد به. ذلك أن الطبيب قد أعطاها علاجاً خفف كثيراً من آلامها، وكان آخر ما تريد ان تفكر فيه الآن هو مسألة الفندق الذي ستبيت فيه. ولكن عليها ان تقوم بذلك، مهما كان الأمر. ومسألة ضيق راف من تعريض الطبيب به، كان آخر ما يشغل بالها في هذه اللحظة.

نظرت حولها في الظلام، وقد ادركت انهما كانا يتركان المدينة خلفهما... يبدو ان منزل راف بعيد عن فنادق لندن.

وقالت له بلهجة غلب عليها النعاس: «إن توقفت عند الزاوية القادمة، يمكنني ان استقل سيارة أجرة إلى الفندق.» فقد جعلتها الحبوب التي اعطاها اياها الطبيب، تشعر بالتعب والنعاس.

أجاب دون أن يلقي عليها نظرة: «لقد سبق وقلت أنا ان ثمة مكاناً تذهبين إليه. وهذا صحيح، وكذلك يوجد من يعتني بك.»

فقالت بازدراء وقد ثقلت اجفانها حتى أصبح صعباً عليها ابقاءها مفتوحة: «أنت؟»

فأومأ قائلاً باقتضاب: «نعم، إذا كان هذا ضرورياً.»

فقالت بجفاء: «انه ليس كذلك.»

ألقى عليها نظرة ساخرة وهو يقول: «معذرة، إذا كنت لا أوافقك على ما تقولين.»

أطبقت فمها بشدة، ثم قالت: «كلا.»

قال: «يا عزيزتي السيدة الشابة...»

فقاطعته قائلة بحدة: «انني لست عزيزتك. وأنا لا أريد الذهاب إلى منزلك.»

فلوى فمه قائلاً: «انك تتكلمين وكأنك تعودت على أن تطاع اوامرك دون سؤال.»

ربما كان هذا صحيحاً بالنسبة اليها، ولكنها شعرت، مما عرفته عن هذا الرجل هذا المساء، انه لا يهتم بآراء الآخرين، الا نادراً.

قالت بحزم رغم انتباهها إلى ان لهجتها أقل اقناعاً، وأن النعاس يزيد من سلطانه عليها: «أريدك ان تقف في هذه اللحظة لكي لا يكون علي أن أسير طويلاً قبل ان أجد سيارة أجرة تعيدني إلى المدينة.»

ضحك راف منها بخفة وهو يجيب: «لا تبدو عليك القوة للوقوف على قدميك وليس فقط السير.»

فأجابت: «إن... بمقدوري أن أفعل... ما أريد...» وكان هذا آخر ما تتذكر قوله قبل ان تسقط نائمة في مقعدها.

الفصل الثاني

ما هذا، وماذا حدث، وأين هي..؟

نعم، أين هي...؟ وتملك جين الذعر وهي تستيقظ فلا تتعرف إلى ما حولها. لقد كانت في طريقها إلى الفندق... ولكن هذا ليس فندقاً... إنها متأكدة من ذلك.

ما هذا الألم الذي تشعر به عندما تتحرك؟ ومع الألم، عادت إليها ذاكرتها، أنوار السيارة، الألم في كاحلها وهي تستدير لتسرع عائدة إلى الرصيف ثم الضربة العنيفة التي أصابت وركها وهي تسقط على الأرض الصلبة.

راف كوينلان...

لقد تذكرت كل شيء عنه... كيف وقف في الظلام مشرفاً، عليها... عجرفته، غلظته، الطريقة التي أصر بها على احضارها إلى منزله رغم احتجاجها...

وتملكها الخوف من أن تنظر إلى نفسها تحت أغطية السرير وقد شعرت بما ستقع عليه عيناها إن هي فعلت...

وساورها شعور مزعج وهي تفكر في أن أحداً بدّل لها ثيابها أثناء فقدانها لوعيها اثر تناولها الحبوب المسكّنة للألم، والذي جعل راف كوينلان يسيطر عليها، وهذا ما لم يعجبها. لقد كانت في المستشفى، ترتدي من الثياب، غير الذي ترتديه الآن.

نظرت بحدة وهي ترى الباب يفتح بعد نقرة خفيفة. لتدخل إمرأة طويلة القامة في ثوب أزرق بياقة بيضاء،

وهي تحمل بين يديها صينية فضية عليها إبريق قهوة، وقالت ببشاشة: «آمل أن لا أكون قد ايقظتك من النوم.»

وعقدت جبينها وهي تنظر إلى جين بحيرة قائلة: «لا أدري لماذا بدوت لي، للحظة واحدة، أشبه بـ... انني آسفة. لقد رأيتك لأول وهلة، أشبه... أشبه بامرأة كنت اعرفها. لكنني لم أعرفك بنفسي. إنني السيدة هوارد مدبرة منزل السيد كوينلان.»

لقد خدعت راف كوينلان بإعطائه اسماً زائفاً لها، وعليها الآن أن تتابع ذلك، فقالت لمدبرة المنزل تقدم نفسها إليها بالمثل: «إن اسمي جين سميث.»

سكبت لها مدبرة المنزل القهوة وهي تسألها: «هل تريدين إضافة قشدة وسكر؟»

ردت جين باسمة: «نعم، من فضلك.»

ولم يكن من السهل عليها الجلوس لتتناول فنجان القهوة من يد المرأة. فقد كانت كل حركة تسبب لها الألم، كما أنها لا تدري أي تعليل سبق وأعطاه راف لهذه المرأة مفسراً به وجودها هنا.

زاد عبوسها وهي تنظر إلى جسدها المغطى بالملاءة. ما زال ثمة أثر للحبوب المخففة للألم، يجعلها تشعر بالدوار.

تناولت فنجان القهوة من يد المرأة، بيد مرتجفة جعلت بعض القهوة تنسكب في صحن الفنجان. وعبست وهي تقول: «آسفة. وأشكرك جداً.»

كررت مدبرة المنزل الاسم متسائلة: «جين سميث؟» تجاهلت جين تساؤل المرأة هذا، فقد سبق وتحدثت عن هذا

www.elromancia.com

الاسم بما فيه الكفاية، ولكن ارتشافها للقهوة جعلها تشعر برغبة عاجلة في أن تهرع إلى المرحاض.

لم تستطع جين أن تبقى في فراشها دقيقة واحدة اكثر من ذلك في مأزقها العاجل هذا، ويبدو أن المرأة شعرت بعدم ارتياحها، فسألتها: «أيضايقك شيء، يا عزيزتي؟»

فتكلفت جين الابتسام وهي تقول: «يبدو أنني لا أرتدي سوى قميص نوم، حسناً، إنني أريد دخول...»

فهتفت المرأة بأسف: «آه، يا عزيزتي، ما أشد غبائي. إن جميع ملابسك هي في الغسالة في الطابق الأسفل. لقد حدثني السيد كوينلان عن تحطم قفل حقيبتك المفاجيء مما جعل كل ثيابك الجميلة تتناثر على الرصيف الموحل تحت المطر. سأنزل حالاً وأحضرها.»

وما أن توارت المرأة خارجة من الباب، حتى أخذت جين تكافح للوصول إلى الحمام الملحق بالغرفة. كانت ساقاها تهتزان بينما كل خطوة تشكل ألماً مبرحاً، قبل أن تنجح أخيراً.

وبعد ذلك، استطاعت أن تفكر بهدوء. ذلك أن عودتها إلى البيت حيث جوردان، قد أعاقها حادث الليلة الماضية، أما الآن، فلم يبق أمامها خيار سوى العودة. لقد كانت منذ اسبوع متأكدة تماماً من أنها ستنجح في الاستقلال بنفسها، في حياتها. ولكن، ها هي الآن مهزومة، مدركة بأنه كان على حق وأنها بحاجة إليه وإلى نقوده لكي تعيش.

أغمضت عينيها شاعرة بالخجل لذكرياتها المؤلمة عن الأسبوع الماضي حيث عانت رفضاً مهيناً بعد آخر، وبعد أن كانت متأكدة من أنها يمكنها إعالة نفسها والعناية بها، إذا

بها تجد في نفسها عدم الكفاءة لذلك، وأن ليس بإمكانها الاستقلال بنفسها من دون كفاءات أو وسائل.

كان هنالك كثير من الفتيات الشابات في لندن لم يستطعن الحصول على وظائف قانونية، فوجدن وسائل أخرى لإعالة أنفسهن، ولكن العودة إلى جوردان كان هو البديل الوحيد. فالوجه الذي تعرفه، خير من الوجه الذي تتعرف إليه. وقد صممت الليلة الماضية، على ذلك عندما حزمت أمتعتها لتعود إلى البيت، رغم كرهها لما ستراه من شماتة جوردان بها وغروره بنفسه وهو يرى تحقق تحذيره بشأنها، بأنها لن تستطيع الاستقلال بنفسها.

وعندما خرجت من الحمام، لم تكن مدبرة المنزل قد عادت إلى الغرفة، بعد. وهكذا أخذت جين تعرج في الغرفة وهي في طريقها إلى سريرها، لقد بدا وركها محتوياً كل ألوان قوس قزح، الآن، بعد أن انتشر لون الرضوض بشكل اكثر اتساعاً وعمقاً.

ربما لم تكن ترغب في البقاء في الفراش، ولكنها لم تكن متأكدة من إمكانها احتمال ضغط الملابس على جلدها الذي أصبح بالغ الحساسية.

أخذت جين تنظر إلى جسدها بعين ناقدة كما لم تفعل من قبل. كان جسدها قد صبغته شمس الصيف مما سمح لبعض النمش بأن يظهر على جلدها كالعادة بالنسبة لحساسية الجلد عند ذوات الشعر الأحمر مثلها. وكان وركاها غلاميان، وخصرها نحيلاً. أما ساقاها فكانتا مستويتين طويلتين بالنسبة لطولها البالغ مئة وأربعة وخمسين سنتمتراً. كما كان يقول لها جوردان.

جوردان. جوردان. جوردان... إنها لم تدرك من قبل مبلغ اهتمامها بالملاحظات التي يعطيها إياها جوردان.

وجاءها صوت من خلفها يقول: «إن جسمك في حالة مزرية، أليس كذلك؟»

أطلقت صرخة ذعر وهي ترتمي على السرير مغطية جسمها بالملاءة، ثم نظرت إلى راف غاضبة، إذ أنها لم تكن قد سمعت صوت دخوله إلى الغرفة، ولكن، ها هوذا واقفاً بهامته الضخمة، مرتدياً بنطالاً من الجينز ضيقاً وقميصاً أزرق جعل لون عينيه قاتماً.

كان يحمل ملابسها النظيفة المكوية على ذراعه.»

جلست في السرير وهي تقول: «ناولني من فضلك، معطفي المنزلي.» ومدت يدها وهي ترمقه بنظرات ثابتة.

ابتدأ الاعجاب يكسو ملامحه وهو يتقدم منها ببطء ثم قال باسماً: «إنني فقط أتساءل من تكونين، يا جين سميث؟»

ارتد رأسها إلى الخلف إزاء هذا التحدي، وبانت عليها الحيرة وهي ترى كيف تحولت تعبيرات وجهه إلى الخشونة حين استقرت نظراته على شعرها الناري، وتابع يقول: «أريد أن اعرف ذلك قبل أن تتركي هذا المكان.»

اقشعر جسد جين خوفاً، ولكنها سرعان ما نفت هذا الشعور معتبرة إياه سخافة. صحيح أنها لا تعلم بالضبط، أين هي الآن، ولكنها، بطبيعة الحال، تستطيع أن تخرج متى شاءت.

وسألها: «إلى أين كنت ذاهبة، الليلة الماضية، ومن أين كنت قادمة؟»

فردت عليه بحدة: «لا أظن أن هذا من شأنك.» كانت تدرك،

باستياء كما يدرك راف، مقدار الضرر الذي أصابها. وكان معطفها المنزلي الآن موضوعاً، مع ثيابها الأخرى، على مسند الكرسي.

كان ينظر إليها بعينين ضيقتين، وذراعاه معقودتان على صدره، وهو يقول: «لقد اعطيت في المستشفى، اسم فندق عنواناً لك، ولكنك لا بد كنت تعيشين في مكان ما، قبل أن تنتقلي إلى الفندق.»

كان يتعمد استفزازها، بما يقرب من الإهانة. فقالت محتجة: «راف...»

قاطعها يسألها: «من يكون هو، يا جين سميث؟»

فقطبت جبينها وهي ترد عليه: «ومن هو هذا الذي تسأل عنه؟»

أجاب: «صديقك الثري.»

فشهقت ساخطة وهي تقول: «صد... ما هذا الذي تتحدث عنه؟»

هز كتفيه وهو يقول ساخراً: «ربما كنت لا أعرف الكثير عن ملابس النساء... ولكن كان بإمكاني أن أرى من الماركات المعلقة على ثيابك، أنها غالية الثمن. فمن اشتراها لك؟»

فأجابت: «ليس عليّ أن...»

فقاطعها: «لقد كان رجلا، أليس كذلك؟ ملابس من الحرير الخالص.» وأشار بيده إلى ثيابها وهو يتابع قائلاً بخشونة: «إما أنك اشتريت هذه لكي تسري بها صديقاً، وإما أن صديقاً قد اشتراها لك.»

في الحقيقة، كانت كل قطعة من ملابسها، قد اختارتها

بيدها لكي تسر بها نفسها وليس شخصاً آخر. فقد كانت تعشق ملامسة الحرير لجلدها.

هزت رأسها قائلة: «إنك لا تعرف ما الذي تتحدث عنه.»

فقال بصوت خشن: «حقاً؟» وتابع قوله باشمئزاز: «صدقيني إنني أعرف أكثر مما تظنين. ولكن، قبل أن يتشعب بنا الموضوع، أريدك أن تعلمي أنني لا أبحث عن صديقة غالية الثمن، أو أية امرأة مهما كانت.»

احتبست انفاسها وهي تسمع كلماته المهينة هذه. كما احمرت وجنتاها غضباً، وقالت: «وإذا كنت أنا أبحث عن صديق ثري، فتأكد من أنه لن يكون أنت.»

وتساءلت كيف يتهمها بمثل ذلك دون أن يعرف شيئاً عنها.

أومأ هو، عند ذلك، برأسه قائلاً بسرور: «إننا، إذن، متفاهمان.»

فردت بحدة واستياء: «تماماً.»

قال بزهو: «هذا حسن. والآن بعد أن اتفقنا على ما لا يريده أي منا، علينا أن نأتي على ذكر ما اريده أنا.»

فهزت رأسها وهي ما زالت تشعر بشيء من الدوار، وقالت: «لم أفهم.» لا بد أن تلك الحبوب التي سبق وتناولتها الليلة الماضية، هي التي جعلتها تتخيل كل هذه المناقشة. إنها اكثر وقاحة من أن تكون حقيقية.

فقال وهو يجلس على الكرسي دون اهتمام لملابسها التي سيفسدها، دون شك، جلوسه عليها: «هل تحسنين الطباعة على الآلة الكاتبة؟»

قطبت جين جبينها وقد أصبحت تجد صعوبة في متابعة الحديث. قالت تسأله: «الطباعة على الآلة الكاتبة؟»

فأجاب لاوياً فمه: «نعم. لا بد أنك تعرفين ما أعني. إنها تلك الحركات عندما تضعين أناملك على مفاتيح الأحرف ثم تضغطين فتنطبع الأحرف على...»

فردت عليه بحدة: «إنني أعرف جيداً ما هي الطباعة، ولكنني لا أرى ما علاقة ذلك بي؟»

نظر إليها متأملاً ثم قال: «يمكنني أن افترض بأنك دون عمل ولا سكن...»

فردت باستياء: «تباً لك ولافتراضاتك.» هل هي مكشوفة الشخصية إلى هذا الحد؟ خصوصاً أمام هذا الرجل الساخر ذي العينين الثاقبتين؟ ومع أنه لم يكن مصيباً، بافتراضاته تلك، مئة بالمئة، إلا أنها كانت كافية لأن تثير أعصابها. كانت ما تزال لا تملك أية فكرة عن هذا المكان، رغم أن مظهر السيدة هوارد المحترم، بعث شيئاً من الإطمئنان إلى نفسها.

رفع راف حاجبيه يجيبها: «ولكنها افتراضات صائبة.»

ردت رأسها إلى الخلف، لتقول متحدية: «ومن أنت، يا راف كوينلان؟»

هز كتفيه العريضتين قائلاً: «إسمي الكامل هو رافرتي كوينلان. العمر، سبعاً وثلاثين. مطلق.» ونطق بالكلمة الأخيرة بمرارة وهو يضيف: «ومسؤول عن إدارة مزرعة تستنزف نفسها ببطء، وتستنزفني معها حتى الجفاف.»

كان هذا عرضاً بالغ الاختصار لوضعه، ولكن جين استطاعت من خلاله، استخلاص الكثير، فقد انتهى زواجه نهاية سيئة، بصرف النظر عما إذا كانت بدايته سعيدة أم لا. وفي هذا يفسر بعض سلوكه نحوها، إنما ليس كله.

وكررت كلامه ببطء: «مسؤول عن إدارة مزرعة.»

فأومأ برأسه قائلاً بخشونة: «لا يمكنني بالضبط الإدعاء بملكيتي لها في الوقت الذي هي فيه مرهونة بالكامل. إنها لم تكن موضع اهتمام أبي لسنوات عديدة، قبل أن يقتل مع أمي في حادث طائرة منذ خمس سنوات، تاركاً أمرها يتدهور إلى حالة سيئة. وهكذا قررت زوجتي الحبيبة أنها لم تعد تستطيع الإقامة في منطقة هامبشاير والجهاد في سبيل المعيشة. ناهيك عن الاستمتاع بحياتها، فاستولت على القليل الباقي لتسديد نفقات الطلاق. وقد استطعت أن استبقي السيدة هوارد لأنها كانت تخدم في منزلنا من قبل ولادتي أنا. فهي تعتبره منزلها هي قبل أن يكون منزلي أنا.»

ولم تصدق جين هذا. لقد شعرت بكبرياء عنيف في حديث راف عن المزرعة التي كان يعتبرها منزله.

على الأقل، لقد علمت الآن أين هي. ليس لأنها تعرف هامبشاير، ولكنها اطمأنت إذ علمت مكانها على وجه التقريب.

وإذا كانت زوجة راف قد تركته لمثل هذا السبب، فهي بلا شك، لم تكن تحبه، وربما هذا يفسر نوع سلوكه نحوها هي، إذ ربما اعتبرها واحدة منهن، ولكنه لم يوضح ما أراده بحديثه الذي ابتدأ به منذ دقائق. وقالت تسأله مقطبة جبينها: «وما صلة كل هذا في كوني أجيد الطباعة أم لا؟»

فلوى فمه قائلاً: «حسناً، بما أنني مسؤول حالياً عنك...»

فقالت محتجة بعنف: «إن هذا غير صحيح قطعياً، إنني أنا المسؤولة عن نفسي.»

إنها، على الأقل، تحاول أن تكون كذلك، لقد كان حسابها في البنك صفراً. ورغم كل ما حاولت إنكاره أمام هذا الرجل، فقد كانت، علاوة على ذلك، دون سكن، وعندما تركت منزلها، لم تفكر حتى بإحضار أي من مجوهراتها التي كان بإمكانها أن تبيعها وتستفيد من ثمنها.

قال راف وكأنه يعبر عن أفكارها: «إنك لم تحسني التصرف تماماً.»

فأجابت بصوت متهدج إزاء محاسبته لها: «إنني أحاول ذلك.»

حدق فيها وكأنه يحس بمشاعرها، ثم قال: «إننا جميعاً نفعل ذلك، أيتها الصغيرة، ولكنه أحياناً، لا يكفي.»

ووافقته في داخلها، بحزن. كلا، إنه، أحياناً، لا يكفي.

لم تكن تحب التفكير في جوردان وهو يجلس بانتظار عودتها لتخبره أنه كان محقاً في ظنه بأنها لا يمكن أن تعيش بمفردها.

قاومت دموعها وهي تقول: «إن مشكلاتك ستنقص واحدة إذا أنا رحلت من هنا حالما أجد سيارة أجرة.» فهي لا تظن أن جوردان سيمانع في دفع أجرة السيارة. فإن اثبات صدق ظنه، يستحق هذه التضحية.

ضاقت عينا راف وهو يسألها: «وإلى أين تذهبين؟ هل تعودين إليه؟»

احمرت وجنتاها وهي تقول: «لقد سبق وأخبرتك أنني...»

فقاطعها: «أخبرتني انك ستعملين عندي بالتأكيد وذلك عندما تتلاشى الأوجاع من جسدك، فأنا لست من القسوة

بحيث انتظر منك أن تجري آلامك معك أثناء العمل... وهذا أفضل من العودة إلى رجل يبدو بجلاء عدم رغبتك في العودة إليه.»

قالت جين ببطء بعد أن استوعبت كلماته: «وما هي معلوماتك عن... العمل الذي أحسنه؟» وبدا الإرتياب في صوتها، وهي تقول: «وما هو نوع العمل الذي تتحدث عنه؟»

أجاب لاوياً شفتيه: «حسناً، لقد سألتك إن كان باستطاعتك الطباعة على الآلة الكاتبة، ولم أقصد بهذا، أن تطبخي لي طعامي، أي نوع من العمل ظننتني أقصد؟»

عمل؟ إن راف يعرض عليها عملاً في الواقع. ولكن، لماذا؟ إنه، منذ قابلها، لم تكن نظرته إليها، ومعاملته لها، إلا باعتبارها شيئاً مزعجاً. واعترفت بينها وبين نفسها، بشيء من الحسرة، أنها كذلك فعلاً. وهو ليس من نوع الرجال الذين يتحملون حوادث مزعجة كهذه التي حدثت الليلة الماضية، تعترض حياتهم. ولكنه، من ناحية أخرى، ليس بالرجل الذي يتنصل مما يعتبره مسؤوليته.

مسؤولية؟ ما أشد كرهها لهذه الكلمة. ورفعت نظرها إلى راف لتسأله بحيرة: «أعمل عندك؟ هل تعني..؟»

فقال: «يمكنني أن أدفع لك أجراً صغيراً، هذا مع الغرفة والطعام، إذا كان هذا ما يقلقك.» وسكت وقد ضاقت عيناه باستياء ثم تابع يقول: «ربما كانت المزرعة تمر في احوال صعبة، ولكنني لم أفلس بعد.»

ويبدو أنها مست منه وتراً حساساً دون قصد. ولكن عرض العمل هذا، كان مغرياً، فقد كان هذا ما تتطلع إليه بالضبط وتتمنى تحقيقه. فإن الاستقلال عن جوردان كان

يعني لها الكثير. ولكن هذا لا يعني أن في نيتها أن تخبر راف عن هذا الأمر. ونظرت إلى راف بغيظ تسأله: «ولماذا تعرض عليّ هذا العمل؟»

وتنهد بفروغ صبر وكأنه ندم على تقديمه هذا العرض، ثم أجاب: «لا تظني أنني أقدم لك أحساناً، يا جين سميث. إن عندي مراسلات قد تأخرت الأجوبة عليها نحو ثلاثة أشهر، ذلك أنني من الانهماك في العمل في المزرعة أثناء الأشهر الأخيرة، بحيث لم أجد الوقت الكافي للرد عليها.»

فقطبت جبينها وهي تسأله: «هل من عادتك الطبع على الآلة الكاتبة بنفسك؟»

ولم تكن هي تعني بسؤالها هذا أن الكفاءة تنقصه لحل المشكلات التي تعترضه، ولكنها فقط، تعتبر أن ذلك ليس شيئاً معتاداً من رجل في مثل مركزه. فهي لا يمكن أن تتصور أبداً، جوردان وهو يقوم بطبع رسائله بنفسه، مهما كانت الظروف.

وهز راف كتفيه قائلاً: «إن عندي عمة تأتي، أحياناً، من المدينة، فتقوم بهذا العمل، أما السبب فهو لكي تبقى على علم بما يدور في هذا المكان.» وبانت السخرية على ملامحه وهو يقول: «ولكنها حالياً لا تجد وقتاً كافياً لذلك.»

لم تكن جين طابعة ماهرة، كما ثبت لها أثناء بحثها عن عمل طوال الأسبوع الماضي، والسبب في ذلك أنه مضت سنوات منذ قامت بالطبع لآخر مرة. ولكن، إذا لم يمانع راف بالنسبة إلى طباعتها البطيئة، فهو على الأقل، خالٍ من الأخطاء. ولكن، هل أفكارها هذه تعني أنها حقاً تفكر في قبول عرضه هذا؟

ما الذي تعرفه عن هذا الرجل، عدا عن أنه يبدو قانوناً قائماً بذاته؟ فهي لا تعلم بالضبط، أين هي الآن، عدا عن كل شيء آخر.

وبعد...

إن كل ما تحتاجه، هو العمل، لثلاثة أشهر فقط، حتى الواحد والثلاثين من شهر آب (أغسطس). وهناك السيدة هوارد... ويبدو انها محترمة بما فيه الكفاية...

وقف راف فجأة وهو يقول باقتضاب: «فكري في الأمر.»

قالت مترددة: «آه، ولكن...»

فقاطعها: «لقد أضعت من الوقت ما يكفي هذا الصباح. فإذا قررت ما تريدين، أرجو أن تعلميني بذلك.» ومشى يجتاز الغرفة إلى الباب، وقوة شخصيته تطغى على المكان، ثم وقف ملتفتاً إليها ليقول: «ولكنني أنصحك بالتفكير جيداً قبل أن تفضلي العودة إلى ذلك الوضع الذي ألجأك إلى التخلي عنه.»

ومع تلك النصيحة الرقيقة، ترك راف الغرفة. وعادت جين تستلقي على الوسائد، وقد أدار هذا الرجل غير العادي، رأسها. فهو متقلب على الدوام، بين الخشونة والغلظة تارة، وبين الرقة والعناية تارة أخرى. وهو طبعاً، لا يهمه من أمرها سوى ما يشعر به نحوها من مسؤولية إثر ما حدث الليلة الماضية. ولكن، هل يا ترى يهمها هذا الأمر؟

إنها، إذا هي قبلت العمل عنده، ستؤدي واجبها نحوه تماماً دون أي خداع، وستجتهد في ذلك قدر إمكانها، فيستفيد الاثنان من هذا الوضع، هو بالخلاص من تلك المراسلات المتراكمة، وهي، حسناً، انها تستفيد من ذلك كثيراً.

ولكن، أليس راف اكثر غموضاً لدى التعامل معه، من جوردان؟

ولكن ذلك سيكون لمدة ثلاثة أشهر فقط، فهل ثمة عرض غير هذا؟

لا شيء من ذلك.

إن وضعها سيختلف تماماً إذا هي اشتغلت عند راف كوينلان...

فهل هذا ثمن غال تدفعه لكي تثبت خطأ جوردان. لقد فارقته وهي مليئة بالثقة بالنفس، متأكدة أن بإمكانها إعالة نفسها، وسيكون هذا صحيحاً إذا هي قبلت عرض راف للعمل عنده.

لقد شب صراع في نفسها بين الكبرياء والحاجة، فانتصرت الحاجة، ملقية جانباً بفكرة أنه ما عرض عليها هذا العمل، إلا لشعوره بأنه التقطها من الشارع حيث كانت شريدة دون مأوى، إنها ستقوم بالعمل، وعندما يحين وقت ذهابها، ستتركه دون أسف. وكان هذا ما ترجوه.

وكل ما عليها القيام به الآن، هو أن يعلم جوردان بنجاحها، فهي تعلم أنه ينتظر الآن عودتها وقد تجلت الخيبة في وجهها. وكانت على وشك أن تفعل ذلك، الليلة الماضية، شاعرة بالتعاسة كما لم تشعر من قبل.

والآن، ها قد استقر الأمر عند راف كوينلان.

كانت عملية ارتدائها ثيابها مهمة شاقة، كما كانت تخشى. وعندما انتهت من ارتداء قميصها الصوفي الرقيق، وتنورتها الواسعة، كان العرق يسيل من جبينها وشفتها العليا. وشعرت، مرة أخرى، بالغثيان، ولكن لم يكن ثمة

هاتف في غرفتها، وعليها أن تجد واحداً. هذا إلى أنها كانت تشعر بفضول بالغ لمعرفة المكان الذي يحيط بها. ولرؤية المزرعة التي تحدث عنها راف. وتركت غرفتها لتسير في ممر طويل علقت على جدرانه لوحات تمثل اجداده كما قال.

تابعت سيرها بين أولئك الرجال المتغطرسين والنساء الحسناوات. وكانت كل نافذة تمر بها، تريها مناظر الريف من حقول واسعة وأشجار باسقة رائعة. ولكن الأرض كان يبدو عليها نوع من الإهمال، فقد كانت الأعشاب تنمو في الحدائق، بطريقة عشوائية نوعاً ما. وكان العشب ينمو بين الحصى التي ترصف طريق السيارات. واستطاعت أن ترى الاسطبلات إلى اليمين بعيداً عن المنزل، ولكنها كانت خالية من الخيول. ويبدو أن راف كان صادقاً في قوله إن المال ينقصه لينفقه على هذه المزرعة الواسعة.

كانت دلائل نقص المال، تبدو في المنزل نفسه، إذ كان ثمة مساحات على الجدران تبدو جلياً أنها كانت أماكن للوحات، هي غير تلك التي تمثل أجداده، كانت معلقة، ولعلها بيـ ـى مدى السنين لتسيير أمور المزرعة. وكانت الـ ـ قديمة مهترئة كذلك، رغم أن المكان كان في غاية النـ ـجهود السيدة هوارد.

كـ من المؤسف أن هذا المنزل الرائع الجمال، لا يمكن إصلا ـه كما يجب. لقد كان كل شيء هنا بعكس تلك الرفاهية الباذ ـة التي أحيط بها جوردان.

جـ ـدان.

إنـ السبب في هذه الآلام التي تعانيها أثناء نزولها

السلالم بسبب تورم كاحلها وتصلب وركها، وذلك لكي تعثر على الهاتف في الردهة الرئيسية. وأنصتت برهة إلى راف والسيدة هوارد لكي تطمئن إلى عدم سماعهما لها، ومن ثم تناولت السماعة ثم أدارت الرقم.

وطال رنين الهاتف في الجانب الآخر الى أن ردت عليها مدبرة منزل جوردان أخيراً. وتذكرت جين أن هينسون الخادم في إجازته الأسبوعية.

وسألت عن جوردان، عالمة بأن المخابرة سترسل إليه حيث يجلس خلف مكتبه في الطرف الأخير من المنزل حيث لا يصل إليه ضجيج الشارع، حتى أنها استطاعت أن تتصوره جالساً خلف المكتب، بشعره الأسود البالغ القصر، وتلك العقدة الأبدية بين عينيه الزرقاوين. مسكين جوردان، فهو لا يكف عن العمل.

وزعق هو في الهاتف بصبر نافذ قائلاً: «نعم؟» وعلمت جين أنها كانت على حق في ظنها أنه لا بد مستغرق في عمله كالعادة، في مكتبه.

وقالت بحيوية وسرعة لكي لا تدع له مجالاً لمقاطعتها: «ريا - جين تتكلم. إنني بخير وعندي وظيفة الآن. وأنا لن أعود إلى البيت.» وبكل هدوء، أعادت السماعة إلى مكانها قبل أن يتمكن من أن يقول شيئاً.

وعندما استقامت في وقفتها، كانت ترتجف قليلاً، لقد التزمت الآن بالعمل عند راف كوينلان، ولو حالياً.

الفصل الثالث

لم يكن راف كاذباً حين قال انه لم يكن يعطيها إحساناً بهذا العمل الذي قدمه إليها. ذلك أن أكثر المراسلات التي كانت تطبعها كانت مملة مضجرة، إذ انها كانت تتعلق بأعمال المزرعة غالباً.

وكانت جين، قبل ان تبدأ العمل، قد أمضت يومين بعد حادثة الإصطدام، في غرفتها. وكان طعامها يحضر إليها في الغرفة. ولكن نزولها في الأمسيات إلى غرفة الجلوس لم يكن يشعرها سوى بالفراغ من أي دفء إنساني وذلك لغياب صاحب البيت.

وكانت تعلم أنها، بالتماسها صحبة راف، إنما تبحث عما يخلصها من هذا النمط المعيشي الممل.

وسرعان ما اكتشفت المكان الذي كان متوارياً فيه أثناء تلك الأوقات التي كانت تجلس فيها وحيدة متمنية حضوره مهما كان هذا الحضور خشناً وتنقصه الرقة، وذلك عندما أرادت ان تبلغه قرارها بالموافقة على العمل عنده، فقادتها السيدة هوارد إلى غرفة مكتبه حيث كانت عشرات الرسائل مكومة على منضدة هناك. ولم يدهش هو لقرارها هذا وهو يدفع بين يديها بالآلة الكاتبة مصحوبة بتعليماته المختصرة ثم يريها أماكن الأشياء التي تحتاج إليها، ليخرج بعد ذلك، معتذراً برغبته في رؤية أحد الأشخاص بشأن سياج كان قد أقامه في مكان ما من المزرعة.

ومضى يومان من العمل لم تشاهد أثناءهما أثراً لراف، وكانت أناملها قد أخذت تشعر بالألم لعدم اعتيادها على الطباعة. وفي الواقع كان الاتصال الوحيد الذي حدث بينهما، هو عندما كتب إشارة على رسالة أنجزتها، يلفت بها نظرها إلى خطأ في طباعة حرف واحد من إحدى الكلمات، بينما لم يذكر كلمة عن الرسائل الأخرى التي كانت خالية تماماً من الأخطاء.

ودهشت وهي ترى راف يوافيها إلى مائدة العشاء تلك الليلة. ولم تستطع أن تتمالك نفسها من أن ترتجف سروراً لرؤيته.

يا للسخافة، لا بد أنها قد يئست من العثور على صحبة ما، مما جعلها تسر لرؤية راف كوينلان.

ولم يجلس، بل وقف أمامها في الناحية المقابلة من المائدة، وهو يقول لها عابساً وقد بدا عليه فروغ الصبر: «لقد عرفت، منذ اللحظة التي رأيتك فيها انك ستكونين مصدر إزعاج.»

رجعت بخطواتها إلى الخلف وهي تقول حانقة: «وأي خطأ اقترفته أنا الآن؟»

فقال وقد بدا عليه الضيق: «إن عمتي وزوجها قررا المجيء لقضاء عطلة نهاية الأسبوع.»

كانت جين قد أصبحت تعرف القليل عن أسرة كوينلان منذ تناولت القهوة، هذا الصباح مع السيدة هوارد، مع ان تلك المرأة كانت شديدة التحفظ ولم تجب إلا بالقليل عن أسئلتها إنما بغاية اللطف. وهكذا علمت أن راف هو الإبن الوحيد. كما انه هو نفسه سبق وأخبرها أن أبويه قد قتلا بحادث

طائر أما أقاربه المباشرين فهم عمته أنيتا وزوجها المحامي وأولادها الثلاثة.

إذن، فهي عمته هذه وزوجها اللذين يتحدث عنهما راف، قالت بطء: «هذا حسن.» وهي ترى من التعبير الذي بدا على وجه راف ما ينافي ذلك. وفجأة خطر في بالها ما جعلها تشعر بالقلق، فقالت تسأله: «هل هذا يعني أنك لن تحتاجني بعد الآن لطباعة رسائلك؟»

أجابها ساخراً: «إن أنيتا لن تحضر إلى هنا لأنها مهتمة بأعمالي.»

فقطبت جبينها وهي تسأله: «كلا؟»

قال بصبر فارغ: «إن عمتي العزيزة مهتمة بأن ترى المرأة التي تعيش معي هنا.»

فشهقت قائلة: «المرأة التي... هل تعنيني أنا بذلك؟»

فنظر إليها بإشفاق قائلاً: «وهل ثمة امرأة غيرك هنا؟»

طبعاً، لم يكن هنا غيرها. ولكن راف لم يكن يلحظ وجودها إلا نادراً، وهذا يعطيها عذراً لدهشتها هذه رغم أن السخرية التي سادت ملامح راف لم توافقها على ذلك.

قالت مقطبة جبينها: «إنني أعمل هنا سكرتيرة لك.» وفي الواقع، كانت هي قد تقدمت في عملها إلى الحد الذي أصبحت فيه تتلقى المخابرات الهاتفية في غيابه... وهذه ترقية لا شك فيها.

لوى شفتيه وهو يجيبها: «ولكنك، كذلك امرأة.»

رفعت حاجبيها ساخرة وهي تقول: «أحقاً، لم أكن أدرك انك لاحظت ذلك.»

رمقها راف بنظرة طويلة جعلت الدم يندفع إلى وجنتيها.

كيف أمكنها أن تفكر في أن بامكانها أن تتحدى هذا الرجل؟

قال بلطف: «ما الذي جرى، يا جين؟ هل ابتدأت تفتقدين وجود رجل في حياتك؟»

جفلت لهذه الإهانة، ولكن الفتور ما لبث ان دب في أوصالها وهي ترى عنف النظرة التي رمق بها شعرها الخصب. فمدّت يدها إلى خصلات شعرها دون وعي منها، وهي تسأله: «لماذا تنظر إلى شعري هكذا؟» فاستدار حول المائدة ببطء ليقترب منها، ثم مد يده بالرغم عنه كما يبدو، وأخذ قبضة من شعرها الناري وهو يقول مهتزاً: «ما كان ينبغي قط أن أدعك تمكثين هنا.»

أرسلت لمسته الرجفة في جسدها، رغم محاولتها جاهدة تمالك نفسها.

تمتم بخشونة: «شعر أحمر... يا له من شعر أحمر.» واشتبكت يده بشعرها ومن ثم جذبها نحوه.

نظرت جين إليه وقد بان الألم في عينيها، ولكن يبدو أنه لم يلحظ أنه آلمها بذلك، وهو يحدق في شعرها الذي بدا وكأنه لهب ينبثق من بين أصابعه.

كانت قد لاحظت ردة فعله إزاء لون شعرها هذا في المستشفى من قبل، ثم بعد ذلك في الصباح التالي في غرفتها هنا. آه، إنه سيكون حظها السيىء لو ان زوجته التي تخلت عنه كانت حمراء الشعر، والذي يفسّر سلوكه هذا.

لقد عاملها هذا الرجل بغلظة، ووجه إليها من الإهانات ما لم يوجهها إليها رجل آخر، ومع هذا كان يثير اهتمامها أكثر مما أثاره أي رجل آخر، فهي تشعر بنبضها يتسارع

الآن وبأنفاسها تحتبس، وكأنها تخشى أن تفسد ما يأسره نحوها.

ومع هذا، إذا بها تكتشف انه لا يكاد يشعر بها، وأن أفكاره بعيدة عنها أميالاً... ربما مع امرأة أخرى. وشعرت جين برغبة طاغية في أن تعلم المزيد عن تلك المرأة التي تخلت عنه في الوقت الذي كان في أشد الحاجة إليها.

وقفز قلبها لهذه المفاجأة، وحاولت ان تخلص نفسها من غضبه ذاك الذي كان يفيض من حركته هذه.

شعرت بنفسها ضائعة وهي تحس بوهن لم تشعر به قط من قبل...

ورفعت بصرها إليه وهي تقول: «راف، إنني...»

وجاءهما صوت من خلفهما يقول: «لا أدري إذا...»

وسكتت السيدة هوارد محرجة، وهي تقف عند الباب وقد احمر وجهها. وقالت: «إنني آسفة. كنت أريد أن أرى ما إذا... حسناً، سأعود فيما بعد.» وتراجعت بسرعة.

وهتف بها راف بخشونة: «يا سيدة هوارد. لقد كنت على وشك الذهاب إليك على كل حال.» قال ذلك رغم أنه كان واضحاً أنه لم يكن يهم بذلك ولم تكن جين متأكدة مما كان على وشك أن يهم به في الحقيقة.

هل تراها غبية؟ إن هذا الرجل يحتقرها، وهي ما زالت تعيش في بيته لأنها بحاجة ماسة إلى وظيفة، وليس لأي سبب آخر. ومجرد تصورها أنه يمكن أن يحدث شيء بينها وبين راف كوينلان، إنما هو مجرد بحث عن المتاعب.

وسرعان ما نفت من ذهنها هذا الخاطر. ذلك أن راف كوينلان ليس بالرجل الذي يناسبها.

قال راف لمدبرة المنزل: «إن عمتي وزوجها قادمان آخر هذا الأسبوع لقضاء العطلة هنا، فهل لك أن تجهزي غرفة لهما؟» ثم خرج مسرعاً من الغرفة قبل سماع جوابها.

بدا على السيدة هوارد الذهول التام وهي تردد: «السيدة أنيتا وزوجها؟» وقطبت جبينها وهي تتابع قائلة: «لماذا لا أستطيع تذكر تاريخ آخر مرة قدما بها إلى هنا؟» وسكتت فجأة وهي تهز رأسها، ناظرة إلى جين قائلة: «إنني آسفة لما حدث الآن، إنني لم أدرك... إنني كنت أريد فقط أن أعلم ما إذا كان راف سيتعشى معك.»

لقد أحبت جين هذه المرأة كثيراً أثناء الأيام الماضية. وقد احترمتها كثيراً لوفائها هذا الراف وأسرته، هذه المرأة التي شعرت بأن أسرة كوينلان قد أصبحت تقريباً أسرتها هي بعد وفاة زوجها بمرض القلب بعد سنوات قليلة من زواجهما.

ولم تستطع أن تغالب الأسف لدورها، جزئياً، في شعور هذه المرأة بالحرج.

قالت تجيبها: «لا يبدو عليه أنه سيتناول العشاء معي. ولكن باستطاعتي أن أساعدك في تجهيز الغرفة للضيوف إذا شئت، وذلك بعد ان أنهي عشائي.»

فهزت المرأة رأسها وهي تقول: «آه، كلا، لن أجعلك تقومين بذلك.»

فقالت جين بسرعة: «ولمَ لا؟ إنني كذلك أشتغل هنا كما تعلمين. وأنا أدرك جيداً مقدار الجهد الذي تبذلينه في أعمالك المنزلية.»

كانت السيدة هوارد تقوم بأعمال المنزل دون أي عون

من أحد، ورغم أنها تستثير بذلك الإعجاب إلا انها لم تعد صغيرة السن. وأقل ما يمكن جين عمله لأجلها، هو أن تجهز عنها غرفة الضيوف تلك، هذا إلى انه لولا وجودها هي هنا في منزل راف، لما جاءت أنيتا وزوجها إلى هنا.

عندما وصلت أنيتا بارنز بعد ظهر اليوم التالي، برفقة زوجها المحامي ذي المظهر المهيب، بدت في عيني جين نسخة أنثوية لراف، بمشيتها المغرورة، وشعرها الأسود الذي كانت تعقده إلى الخلف، كما كان قوامها الطويل النحيل يبدو بالغ الأناقة في طقمها الرمادي الحسن التفصيل.

وعندما قدم راف المرأتين، الواحدة إلى الأخرى أخذت تنظر إليها من أعلى إلى أسفل بعين ناقدة، وعندما نظرت إلى وجهها، ضاقت عيناها وهي تقول دون أن تمدّ يدها لمصافحتها: «أهلاً وسهلاً، إنك تذكرينني بشخص ما.»

واتسعت عينا جين كمن فوجئت، وأجابتها بلهجة مهذبة تختلف عن اللهجة التي خوطبت بها: «أحقاً؟» ويبدو أن أنيتا بارنز، مثل ابن أخيها، لا تطيق السكوت عما لا يعجبها... ويا لها من أسرة! أما زوجها جاك بارنز، فكان مهذباً بما فيه الكفاية وربما كان عليه أن يكون كذلك مع زوجة كهذه.

وتابعت المرأة التحديق في وجهها بعينين ضيقتين وهي تقول: «هممم... إنني لست متأكدة...»

وقال راف بضجر: «أنيتا، دعي الفتاة المسكينة وحدها. إن اسمها جين سميث وعملها سكرتيرة، وهذا يكفي، من فضلك.»

ولم يكن ما أعلنه عن اسمها وعملها حقيقياً، ولكن جين طبعاً، لم تناقشه في ذلك.

ولكن أنيتا بقيت على عنادها قائلة: «سأتذكر ذلك بسرعة. إنني متأكدة.» ثم التفتت إلى ابن أخيها قائلة: «أرجو أن لا يكون عندك مانع يا عزيزي في ان يأتي بوبي إلى هنا قبل العشاء.» وتغير وجهها تماماً لدى ابتسامة الحنان التي ارتسمت عليه، ليبدو رائع الجمال تقريباً وهي تتابع قائلة: «إن العزيز المسكين بحاجة إلى فترة قصيرة يرتاح فيها من لندن والعمل الشاق الذي يزاوله.»

وعندما صعدت عمته وزوجها إلى غرفتهما في الطابق الأعلى ليأخذا قسطاً من الراحة قبل أن يحين موعد العشاء، تمتم راف قائلاً: «إن فكرة بوبي عن العمل الشاق هو أن يستيقظ قبل الساعة العاشرة صباحاً.»

فسألته جين: «ومن هو بوبي هذا؟»

فأجاب ساخراً: «انه ابن أنيتا الأكبر، وقرة عينها، إنه باعتبار أمه، لا يمكن أن يخطىء أبداً.»

بوبي بارنز... بدالها وكأنه اسم للاعب كرة قدم أو ربما ملاكم، ولكن راف سرعان ما أبطل فكرتها هذه بقوله: «إنه ممثل.» وكان الإزدراء بمثل هذا العبث الذي لا يعتبره مهنة واضحاً في لهجته، وتابع يقول: «إن بوبي هو واحد من خمسة وتسعين في المائة من الممثلين الذين هم دوماً عاطلون عن العمل.»

فلوت جين شفتيها قائلة: «هذا لا يدهشني ما دام اسمه بوبي بارنز.»

فقال: «همم... بالنسبة للاسماء...» وفجأة، تغيرت ملامحه وهو يحدّق في وجهها.

وتملكها القلق فسألته: «نعم؟»

فأومأ برأسه ببطء قائلاً: «لقد اتصلت هاتفياً بالفندق الذي أعطيت اسمه للمستشفى باعتباره آخر عنوان لك...»

فشهقت وقد ذعرت لتفكيره بالقيام بمثل ذلك العمل، وهي تقول: «ليس لك الحق في ذلك.» لأنه لم يخطر في ذهنها قط أنه من الممكن أن يفعل هذا. ولكنها كانت تعيش في بيته وتشتغل عنده، ومن حقه أن يعرف شخصيتها الحقيقية. والآن، وقد عرف كل شيء...

أجابها بخشونة وهو يقترب منها: «إن لي كل الحق في ذلك. أتعرفين ماذا أخبروني من ذلك الفندق؟»

كان يتكلم بصوت خافت بينما عيناه تنذران بالشر.

طبعاً، لقد أخبروه أن فتاة باسم جين سميث لم تسجل اسمها عندهم تلك الليلة حسب ادعائها...

ازدردت ريقها بصعوبة، ثم قالت: «كلا، بماذا أخبروك؟» وأخذت تفكر في جواب لسؤال لا بد سيلقيه عليها، ولكنها لم تفلح في ذلك.

نظر راف إليها ساخراً وهو يقول: «قالوا إنهم ليسوا أحراراً في أن يطلعوني على أسماء النزلاء عندهم.» وارتفع حاجباه وهو يرى الاحمرار يكسو وجنتيها اللتين كانتا شاحبتين منذ لحظات، ثم حرك رأسه هازئاً وهو يقول: «هذا مؤسف ولكن، هذا ما حدث.»

شعرت جين بارتياح خفي، ورفعت أنظارها إليه وقد بدا فيهما الاستياء. لقد فعل ذلك متعمداً لكي يخرجها عن طورها ويدفعها إلى الاعتراف بشيء لم تفعله. من حسن حظها أنها لم تفقد أعصابها وتفعل ذلك.

ردت عليه قائلة: «وهو كذلك. أظن من الأفضل أن أفعل كما فعلت عمتك وزوجها، فأصعد إلى غرفتي لأرتاح قليلاً قبل العشاء.» ثم سارت تجتاز الغرفة رافعة الرأس.

تمتم قائلاً من خلفها: «نعم، افعلي ذلك. ولكن يا جين...»

فاستدارت إليه رغماً عنها، إذ لم يكن لديها خيار آخر. ولكنها لم تجبه.

قال محذراً: «إنني سأستمر في البحث والتدقيق إلى أن أعرف حقيقتك بالضبط.» لم يكن في عينيه الآن أي أثر للسخرية وهو يتابع: «وإذا أنا لم أتحدث عن هذا الأمر في كل مرة أقابلك فيها فهذا لا يعني سكوتي عنه.»

فقالت متحدية: «ربما كنت خارجة عن القانون بشكل ما.» لقد هزها اهتمامه المستمر هذا بها، ولم تستطع أن تنكر عليه ذلك، فقد كانت حمقاء عندما ظنت لحظة أنه لن يلاحق الموضوع.

أجابها مفكراً: «لا أظن ذلك. ولكنني أكره الغموض.»

تركت جين الغرفة بسرعة أكثر مما كانت تريد. وفي الممر إلى الردهة، وقفت وهي تتأوه ساخطة.

إن بإمكان راف أن يفسد كل الأمور عليها، بتنقيبه ذاك وبحثه.

عندما دخلت جين إلى غرفة الجلوس ذلك المساء، لم يكن راف موجوداً، كان هنالك أنيتا وزوجها فقط. وكان الأخير كما توقعت جين، يرتدي بذلة العشاء وقميص أبيض مثل بياض الثلج، وكانت جين قد فكرت في أن عشاء يضم آل بارنز لن يكون عشاء عادياً كالذي اعتادت هي عليه، وهذا هو السبب في ارتدائها ثوب كوكتيل أزرق بسيط الطراز

ولكنه مريح بالنسبة للرضوض التي ما زالت تؤلمها، وكانت التنورة واسعة تموج فوق ساقيها المستقيمتين.

وكانت أنيتا قد استبدلت طقمها بآخر أسود اللون هذه المرة، ولكنه يماثله أناقة.

ولم يبدُ أثر لبوبي بارنز بعد، إلا إذا كان ما يزال في غرفته يغير ملابسه للعشاء.

لم تستطع جين أن تغالب فضولها لرؤية مظهر راف مرتدياً بذلة العشاء، لا بد أنه سيكون جذاباً إلى حد هائل. وكانت تفكر في ذلك باستسلام، لأنها أصبحت شديدة الاهتمام براف كوينلان. وتطلعت حولها خشية أن تبدو مشاعرها للناظرين، ولحسن الحظ أن أنيتا بارنز لم تعتبرها لائقة لتبادل حديث مهذب معها بصفتها أجيرة. وكان اهتمامها موجهاً إلى زوجها الذي كانت تتحدث إليه بصوت متسلّط. واغتنمت جين الفرصة لكي تتحكم في مجرى أفكارها.

«أظنك الآنسة جين سميث؟»

استدارت عند سماعها ذلك الصوت الساخر، الذي كان مألوفاً لديها. واحتبست أنفاسها حين وقعت عيناها على شاب قاتم الشعر وسيم الهيئة أزرق العينين.

روبرت بارنزتابل...

وكان يعرف تماماً أنها ليست جين سميث أبداً.

الفصل الرابع

أغمضت جين عينيها راجية لو أنه يختفي من الوجود! ولكنها عندما عادت وفتحتهما، وجدت انه مازال واقفاً امامها يبتسم ساخراً.

كانت من الاستغراق في التفكير بحيث لم تنتبه اليه داخلاً الغرفة، ولكن، ها هي الآن تنظر إلى روبرت بعينين غير مصدقتين. لماذا هو بالذات؟ هل كتب عليها أن لا تستقيم الأمور معها؟

وأجابته بصوت خافت رغم الخوف الذي يحتل كيانها: «أظنك بوبي بارنز؟»

وكما استنتج هو أنها جين سميث، استنتجت هي أنه لا بد أن يكون هو بوبي واحداً من مجموعة الممثلين الشبان التي تعرفهم جيداً في المدينة. ولسوء الحظ، لم تكن معرفتها بروبرت جيدة إلى الحد الذي تعرف فيه أن بارنزتابل كان اسمه الفني، إنه حظها السيىء.

كان فتى وسيماً ماكراً، وكان يرتدي بذلة العشاء بأناقة طبيعية. كان رشيقاً جذاباً فعلاً، وقد سبق وخرجت معه لتناول العشاء اكثر من مرة، فسرت بصحبته كثيراً. ولم يكن يهتم بالحديث عن نفسه طيلة الوقت كما يفعل بقية الممثلين.

وهمهم قائلاً وقد ساده الارتباك: «إذا أنت فكرت يوماً في أن تخبري الآخرين في لندن أن اهلي يدعونني بوبي...»

فنظرت إليه وهي تقول بحزم: «إن ما يهمني أنا أكثر، هو

إن كنت ستخبر أفراد أسرتك، خصوصاً راف، بما يدعونني به الآخرون في لندن.»

فقال برزانة: «آه، يجب ان أعترف بأن أمرك، وما تفعلينه هنا، يحيرني.»

«إن راف يعتقد أنني ابحث عن رجل ثري يحميني.»

وانفجر روبرت بضحكة جعلت والديه ينظران اليهما بفضول، ولم يكن يسر أنيتا بارنز أن يتحدث ابنها إلى جين مطلقاً، فكيف بالاستماع إليها؟

كما أن راف كان قد اختار أن يدخل الغرفة في هذه اللحظة بالذات، لتضيق عيناه وهو يراهما واقفين معاً في ركن من الغرفة.

أجابها روبرت بجفاء: «نعم، حسناً، انه يتمنى هذا، أليس كذلك؟» وتلاقت عيناه بعيني راف متحدياً وهو يتابع: «ان فكرة ابن خالي عن النساء سيئة، فانتبهي، وهذا ليس بمستغرب مع زوجة مثل سيليا.»

سيليا؟ انها، على الأقل، قد عرفت اسم زوجة راف السابقة، ليس لأن في معرفته أية فائدة، وانما جعلها تبدو حقيقية، امرأة لعبت دوراً في حياته. ولسبب ما، اشعرها التفكير في هذا، بالالم.

وفكرت، راجية أن لا ينتبه روبرت إلى فضولها هذا في معرفة كل شيء عن تلك المرأة، لكي تعرف اي نوع من النساء تلك التي صبغت شخصية راف بمثل تلك السخرية اللاذعة. قالت: «ربما كنت أنكر راف بها؟»

وعبس روبرت وهو ينظر اليها قائلاً: «أنت؟ كلا. لقد كانت سيليا طويلة القامة ممشوقة القد.»

بينما هي هزيلة قصيرة القامة... وعادت تقول: «ظننت ان شعري ربما...» ولفت خصلة من شعرها الطويل حول اصبعها بينما كان انتباه راف، في هذه اللحظة، قد تحول نحو زوج عمته الذي بدا خالي الذهن تماماً من اهتمام راف لجين وابنه، أو باهتمام زوجته بهما هي الأخرى.

وبدت على روبرت الحيرة الآن وهو يقول: «شعرك؟ وماذا بالنسبة إلى شعرك؟»

«ظننت أن سيليا ربما... ربما كان شعرها أحمر؟»

وضحك روبرت برقة وهو يقول: «أشقر، أسود، بني... كل لون يمكن ان تفكري فيه، ولكنني لا أظنه كان قط... انتظري لحظة.»

وسكت مفكراً برهة ثم عاد يقول: «نعم، أظنها كانت حمراء الشعر عندما تزوجها راف. هممم... انني متأكد من ذلك تقريباً. ولكنه لم يبق كذلك مدة طويلة. ويبدو ان سيليا اعتادت ان تغير لون شعرها ليناسب لون الثوب الذي ترتديه.»

ولكنها كانت حمراء الشعر عندما تزوجها راف... وكان هذا أحد الأسباب التي جعلته يكره لون شعرها هي، ويشعر بالغضب نحوها. ولكن ليس من حقه ان يلوم كل امرأة حمراء الشعر لأن زوجته التي تخلت عنه كانت ذات شعر احمر!»

هزت كتفيها قائلة: «ربما أنا فقط التي لا يثق هو بها.»

وتنهدت وهي تتابع قائلة. «إنه يعطي انطباعاً بأنني خطرة على الرجال.»

فنظر روبرت اليها باعجاب وهو يقول: «هذا يدل على انك محظوظة.»

لم يكن روبرت يخفي حقيقة اعجابه بجاذبيتها. وكانت هي تعرف انها، هذه الليلة، كانت تبدو افضل من الليالي التي مضت. فشحوب بشرتها الذي نتج عن تلك الحادثة، قد تلاشى، خصوصاً بمساحيق الزينة الخفيفة، وكان ثوبها الأزرق يموج مهفهفاً، بينما شعرها يتالق كاللهب منسدلاً على كتفيها.

عادراف ينظر اليها. ولكن لو انه وجدها جذابة، فهذا لم يظهر على ملامحه وهو ينظر اليها ببرود اثناء حديثه مع عمته.

وإذ تقارن بين الرجلين، كان واضحاً من هو الأكثر جاذبية، إذ انه، مع كل وسامة روبرت وجاذبيته، فقد كان راف هو الذي يجذبها.

قال روبرت بجفاء: «ما دام ابن خالي العزيز قد انضم الينا، اعتقد ان علينا أن نباشر العشاء. ولكنك مازلت لم توضحي مهمة جين سميث وماذا تفعله هنا بتمثيلها دور سكرتيرة راف. ولهذا، سأعود اليك فيما بعد.» وأردف مازحاً: «من يدري، ربما يغير راف من نظرته اليك إن عرف حقيقتك.»

فرمقته جين بارتياب وهي تقول: «اتظن ذلك حقاً؟» وفكرت في حياتها الماضية، فعرفت انها لن تلاقي الاستحسان من راف ابداً.

وعاد روبرت، فاعترف قائلاً بشيء من العبوس: «ربما لا. في الحقيقة يتملكني الفضول لكي اعرف ما هو شعور جوردان إزاء عملك هنا؟»

فقطبت جبينها قائلة: «من الواضح أن ليس عنده فكرة عن ذلك.»

فاومأ برأسه قائلاً: «ولهذا، أنا متاكد من أنه مهتم جداً بأن يعلم مكانك.»

فقالت: «إياك أن تفكر في أن...»

فقاطعها قائلاً: «علي ان اذهب الآن يا ريا... أعني يا جين...» وعبس قائلاً: «يجب أن لا أخطىء في اسمك مرة اخرى، أليس كذلك؟ وسأتكلم معك فيما بعد.»

فقالت: «أوه، ولكن...»

قال وهو يربت على ذراعها: «ان امي تنتظرني لكي اصحبها إلى المائدة.» وانتقلت انظاره الى ناحية امه التي كانت تنظر اليه وقد بدا عليها الغضب لقضائه كل هذا الوقت مع جين.

لم تحسده على غضب امه هذا، فقد كانت متاكدة من أن أنيتا بارنز من القوة بحيث يحسب لغضبها الحساب، هذا إذا كانت تشابه طباعها طباع ابن اخيها، وكانت جين متاكدة ايضاً، رغم مدة تعارفهما القصيرة، ان تلك المرأة تماثله في ذلك إلى درجة كبيرة. ورغم ان روبرت (قرة عين امه) فان ذلك لن ينقذه من غضبها.

وبما أن جين هي المرأة الوحيدة الباقية في الغرفة، فان العرف يوجب على السيد بارنز بأن يصحبها إلى المائدة، ولكن يبدو أنه كان يأخذ الاشارة من زوجته، وكان واضحاً انه كان يعرف جيداً كيف يتجنب اغضابها بالنسبة الى جين، وهكذا دخل الى غرفة الطعام إلى الجانب الآخر منها.

كان ثمة صمت ثقيل حين رأى راف وجين انه لم يبق أمامهما خيار سوى ان يسيرا معاً الى غرفة الطعام.

ولم يبد على راف السرور لذلك!

ربما ما كان لها ان تنزل لتناول العشاء معهم هذا المساء. إذ أنها ليست سوى مستخدمة. ولم يبد على أنيتا بارنز أنها قد اعتادت تناول الطعام مع الأجراء المستخدمين.

ولكن، لو كان الأمر هكذا لكان راف أخبرها مسبقاً به. أما الآن، فليس بامكانها أن تتراجع عن حضور العشاء معهم.

لم يمد راف ذراعه لها، بل قال لها بخشونة: «ماذا تظنين نفسك فاعلة؟»

فنظرت اليه بحيرة قائلة: «انني...»

فقاطعها مهدداً: «ابقي بعيدة عن ابن عمتي الصغير.»

فتنفست بغضب وهي تقول: «انه هو الذي جاء مبتدئاً الحديث معي، فماذا كان علي ان افعل؟ أن أكون فظة معه؟»

ورفعت أنظارها اليه وهي تتابع: «لأتلقى، بعد ذلك، التعنيف لهذا.» ثم أردفت بغروغ صبر: «يبدو انني لن أنجح معك.»

استدارت على عقبيها ودخلت غرفة الطعام وحيدة دون اهتمام لما يبدو عليه تصرفها هذا من شذوذ.

ورفع روبرت حاجبيه متسائلاً وهو يرى تورد وجنتيها ولمعان عينيها.

سألته وهي تجلس على كرسي مقابل لراف، عندما سحب هذا كرسيه، ثم جلس عليه بهدوء، وقد تصلب جسده من الغضب. سألت روبرت قائلة: «لقد اخبرني راف انك تعمل في مهنة التمثيل.»

وابتسمت له مشجعة، وقد قررت ان لا تدع تصرف راف الحافل بالازدراء نحوها، يثير اعصابها.

أومأ روبرت برأسه وقد شعر بالسرور اذ يضيف وقوداً يزيد من التوتر الذي شعر به، بين جين وراف، وقال: «انني اتدرب على تمثيل مسرحية.»

فقالت: «ان هذا رائع.» وكانت تتعمد تجاهل راف رغم علمها بأن نظراته كانت منصبة عليها.

ألقى روبرت عليها نظرة فهمت منها انه يدرك تماماً ما يدور هناك، وأنه على أتم استعداد لمساعدتها في اغاظة راف. وفي الواقع ان اي شخص استمع اليه اثناء الساعتين التاليتين سيكون معذوراً حتماً لو انه اعتقد بأن رسالة روبرت في الحياة هي، فقط، استفزاز راف.

استطاعت جين ان تدرك السبب في ذلك تماماً... فقد كان الرجلان على طرفي نقيض، إذ بينما يأخذ راف الحياة بكل جد، كان روبرت يعتبر كل شيء لهواً ولعباً.

ومع تقدم المساء، ازدادت تصرفات راف برودا اكثر فأكثر، وكذلك نظراته.

كذلك أنيتا بارنز لم تشعر بالسرور، هي ايضاً، لاهتمام ابنها الواضح بسكرتيرة ابن اخيها، وكانت تعليقاتها عليها تتسم بالنزق على أقل تقدير.

وعند تناول القهوة، كانت جين على وشك الهرب من هذا الوضع الذي ساعدت في توتره وذلك لغيظها من راف. وكانت انيتا بارنز الآن قد اخذت تراقبها بعينين ضيقتين، بينما بدا على راف انه على وشك ارتكاب جريمة تكون جين هي الضحية فيها.

قالت انيتا بارنز ببطء مفكرة وهي تنظر الى جين: «هل تعلم يا راف انني، اخيراً تذكرت بمن تذكرني سكرتيرتك؟ كنت متأكدة من انني سأتذكر ذلك.»

أجاب راف وهو متصلب في كرسيه: «نعم؟»

فاستدارت عمته اليه تقول وقد ضاقت عيناها: «انها تلك المرأة التي تورط ابوك معها.»

فتوتر فم راف وهو يقول: «انني آسف، فأنا لا أعرف ما الذي تتحدثين عنه.»

وكذلك جين، فعلى حد علمها، كان والداه معاً عندما قتلا في حادث الطائرة، فكيف بامكان راف ان يعرف المرأة التي كان والده متورطاً معها قبل زواجه، بينما راف لم يكن قد ولد بعد؟

ونظرت إلى العمة وإبن اخيها بفضول. وبدا على راف انه غير راض ابداً عن المجرى الذي تحول إليه الحديث.

قالت انيتا: «انك تعرف طبعاً، فقد كانت هي مربيتك في ذلك الوقت.» واستدارت الى زوجها قائلة: «انك، لا شك، تتذكرها يا جاك ماذا كان اسمها؟ انني استغرب عدم تذكرك إياه، يا راف، فقد كنت أنت مولعاً بها. انني اتذكر كيف انكسر قلبك عندما تركتك فجأة.»

ونطقت بجملتها الأخيرة بلهجة ساخرة.

فقال راف ببرود: «كان اسمها ديانا. وأنا لا يعجبني الحديث عن الشؤون العائلية الآن.»

وأدركت جين ان ذلك بسبب وجودها هي، ولكن، ليس عليه ان يقلق، إذ لم يكن يهمها من هذه الأسرة شيء، ما عدا ان الحديث نبهها إلى شيء ما. ذلك أن امها كانت تشتغل مربية قبل زواجها من أبيها، كما أن اسمها كان ديانا... ولكن لا شك أن هذا التشابه هو من قبيل الصدفة... ان زوجة الأمير تشارلز نفسها اسمها ديانا، كما أن عملها

كان، هي أيضاً، يتعلق بالأطفال قبل زواجها من الأمير...

ومع ذلك، سبب لها هذا الأمر شيئاً من عدم الارتياح...

«هل أنت مشغولة؟»

رفعت جين نظرها إلى روبرت الذي وقف عند باب غرفة الجلوس الصغيرة حيث كانت تجلس.

ولا بد انه كان واضحاً، وهي تجلس على تلك الأريكة تقلب صفحات مجلة لم تكن تشعر بمتعة حقيقية في قراءتها، كان واضحاً انها لم تكن تقوم بأي شيء ذي أهمية.

ووضعت المجلة جانباً وهي تجيبه ساخرة: «إلى اقصى حد.»

وابتسم لها وهو يدخل الغرفة قائلاً: «هذا ما ظننت.»

فقالت عابسة: «انني، في الحقيقة مشغولة... في الابتعاد عن طريق كل شخص.»

كانت الليلة الماضية، قد اعتذرت، حالما انتهى العشاء، لكي تخرج من غرفة الطعام، كما انها استطاعت تجنب اي احتكاك بالأسرة هذا النهار، وذلك بالخروج للنزهة حالما استيقظت من النوم، آخذة معها بعض السندويتشات لكي لا يكون عليها تناول الطعام، مرة اخرى، مع الأسرة.

ومن سوء الحظ، وجدت أن سيارة الأسرة بي، ام، دبليو وسيارة روبرت الرياضية كانتا ما تزالان واقفتين الى جانب سيارة راف الجاكوار القديمة الطراز، وذلك عندما عادت الى المنزل عصر ذلك النهار، وهكذا لجأت الى هذه الغرفة الصغيرة للاستقبال التي كانت نادراً ما تستعمل. ولا بد ان روبرت كان يبحث عنها فوجدها هنا.

قال لها باسماً: «لقد رحل والديّ في هذه اللحظة.»

وجلس على ذراع أحد المقاعد التي ينسجم لونها مع لون الأريكة.

ولم تدهش جين وهي ترى الزوجين يرحلان دون ان يلقيا اليها بتحية الوداع... فهي لم تكن سوى مستخدمة في هذا المكان.

تابع روبرت، الذي كان يرتدي بنطالاً وقميصاً ابيض فضفاضاً، تابع كلامه قائلاً: «لقد طمأنت امي بأنك لا تسعين خلف فضة الأسرة.»

فتمتمت جين ساخطة: «خلف ماذا...؟ لو كان يوجد هنا فضة، لكنت اخذتها وهربت منذ مدة.» حسب اعتقاد جين، لم تكن الأسرة تملك اية آنية فضية.

ورفع روبرت حاجبيه قائلاً: «آه، انني لم اقصد معدن الفضة الثمين، ذاك، بالذات...»

فقالت: «ماذا تقصد اذن...؟» وسكتت فجأة واتسعت عيناها اذ ابتدأت تفهم ما يقصد اليه روبرت، ثم تابعت تسأل بارتياب: «انك لا تعني راف؟»

فأومأ روبرت برأسه بالايجاب وهو يقول: «ان امي تتمنى ان يبقى راف دون زواج لكي ارث انا، يوماً ما، كل هذا.» وأشار بيده حوله.

ولكن، حتى ولو كانت هذه الفكرة غير عقلانية، هل يمكن ان لا ترى انيتا وأسرتها مصاعب المزرعة المادية، وبالتالي ضآلة ما يمكن ان يرثه روبرت في هذه الحالة؟ ولكن، يمكنهما مواجهة تلك المصاعب. وكانت جين متأكدة من انه حتى ولو كانت احوالهما المادية تسمح لهما بمد يد العون الى راف فهو لن يطلب منهما ذلك بنفسه ابداً. فقد كان

رجلاً ذو كبرياء، ومصمماً على ان يقوم بنفسه باصلاح الأمور مهما كانت النتيجة.

قالت تجيبه بجفاء: «ان نظرة واحدة الينا، انا وراف معاً، هي كافية لأمك لكي تطمئن إلى أن طموحاتها ليست في خطر.»

ابتسم روبرت قائلاً: «ان راف دوماً اعمى بالنسبة الى النساء.»

شعرت جين بنوع من عدم الارتياح للتحدث عن راف بهذه الطريقة... حتى ولو كان ذلك مع روبرت الذي كان أشبه بصديق شخصي لها في لندن.

قالت وهي تفكر في زواج راف الفاشل: «ربما كان عنده من الأسباب ما يفسر ذلك.»

قال روبرت دون اهتمام: «ربما، وكذلك ابوه لم يكن محظوظاً في حبه.» وعبس وهو يتابع قائلاً: «يبدو لي ان ليس ثمة محظوظاً في الحب من بين ذكور هذه الأسرة.»

قالت في محاولة للاتيان على ذكر والد راف للمرة الثانية: «ولكن والدي راف دام زواجهما اكثر من ثلاثين عاماً.»

فأجاب روبرت بجفاء: «نعم، لقد كانا متزوجين، ولكنهما لم يكونا سعيدين، لقد كانت هيلين، والدة راف، امرأة سيئة. لقد كانتا، هي وسيليا، صديقتين حميمتين.» وسكت وكأنه قال، بهذا، كل شيء.

وربما كان هذا صحيحاً، ولكن كم هو محزن ان يلاقي الرجلان، الأب والابن، التعاسة في زواجهما، ولكن مازال هناك موضوع المرأة ديانا التي شبهتها انيتا بانز، بها.

www.elromancia.com

وسألته بفضول: «ومن كانت ديانا تلك؟»

هز روبرت كتفيه قائلاً: «في الواقع لا أعلم، فقد كان ذلك قبل ان اولد. وأنا لم احضر الى هنا لأتحدث عن راف وبقية افراد الأسرة السعيدة. انني مازلت متشوقاً إلى معرفة السبب الذي جعلك تأتين إلى هنا لتمثيل دور السكرتيرة.»

فقالت محتجة: «انني لا أمثل دوراً. وأنا اعترف بأنني لا أحسن تماماً هذه المهنة. ولكن سرعتي هي كافية بالنسبة لعمل راف، وهذا هو المهم. ثم ان هذه مهنة.»

فقال وما زالت الحيرة تبدو عليه: «ولكن لماذا انت بحاجة الى مهنة؟»

ومع كراهيتها لمكاشفته بالحقيقة، فقد كانت تعلم انه لن يقبل سواها. وربما تدين له بمكاشفته بها، اكراماً لسكوته عن كشف امرها في اسمها الحقيقي.

ونظرت اليه وهي تقول محذرة: «ان ما سأخبرك به هو سر ائتمنك عليه.»

فقال: «وكلي آذان.»

فنظرت اليه بجد قائلة: «ان هذا ليس مزاحاً، يا روبرت.»

فأجاب: «انني لا أمزح.»

فقالت: «وكذلك لا تأخذه مأخذ الجد.»

وقفت، ثم سارت نحو النافذة تنظر من خلالها إلى التلال في الخارج بينما كانت تحاول استجماع افكارها. وأخيراً، استدارت تنظر اليه قائلة ببطء: «بعد ثلاثة اشهر بالضبط، أتم واحداً وعشرين عاماً. فاذا كنت في هذا الوقت، قد تدبرت امري في ان اكون موظفة ذات عمل اعيش منه، بدلاً من التصدق علي ببعض الأعمال كما كنت، قبل حضوري الى

هنا، فأنا، عند ذاك، لي الحق في ان ارث الأموال التي تركها لي أبي.» وبدا عليها الاشمئزاز من قلة ثقة ابيها بها.

لم تكن علاقتها بأبيها حسنة قط. وعندما توفي، منذ سنتين، كانت في المدرسة الخاصة في سويسرا. فعادت الى انكلترا لتستلم حصتها من املاك ابيها المنتشرة في كل انحاء العالم. وشغلها ذلك عن القيام بأي عمل آخر، هذا مع ان التصدق عليها ببعض الأعمال لكي يمكنها اعالة نفسها، كان السمة المميزة لها في حياتها المليئة بالمشاغل.

ولكن جوردان كان يعلم بالشرط الموضوع في وصية والدها لكي ترث نصيبها من الارث ذاك. وفي الواقع، كان هو أحد الموثوق بهم الذين سيقررون ما اذا كانت تستحق هذا الارث ام لا.

وأضافت تقول: «ان جوردان لا يعتقد ان بامكاني القيام بذلك.»

قال روبرت: «هذا شيء لا يصدق وكأنه رواية من العهد الفيكتوري.»

فتنهدت وهي تقول: «كان ابي عديم الثقة في طاقات المرأة.»

فسألها: «وأمك...؟»

فأجابت: «ماتت أثناء ولادتها لي.» وشهقت قائلة: «أرأيت، من هذا مبلغ حاجتي الى هذه الوظيفة، والى هذه اللحظة، أنا أعتمد على جوردان في كل شيء ما عدا حصتي في الارث، وكل ما أنا بحاجة اليه هو ان اتحرر من قيد تزويده لي بالمال.»

بدا الضيق على وجه روبرت وهو يقول: «لم تكن لدي فكرة...»

www.elromancia.com

فتنهدت قائلة: «ولا أحد آخر... وأنا أفضل ان لا يعرف احد.»

فقال: «هذا شيء مريع بالنسبة اليك. ولكنني كنت دائماً أظن أن جوردان رجل نزيه رغم انه يبدو سيىء الخلق احياناً.»

هزت كتفيها قائلة: «آه، إن جوردان هو... حسناً، انه جوردان فقط. فهو قانون بذاته في أكثر الأحيان، ولكنني أريد ان اقوم بشيء مفيد في حياتي بدلاً من ان ابقى فراشة هائمة في كل مكان. أريد ان أبدأ عملاً خاصاً بي.»

لقد ظهرت الآن طموحاتها التي طال كبتها، فتألقت عيناها وهي تتابع: «بالرغم مما اذا كان جوردان يظن العكس، فقد اكتشفت في الأسابيع الأخيرة ان بامكاني القيام بعمل ما، ليس ثمة منافس لي في القيام بعمل مضيفة اجتماعية.» وابتسمت وهي تتابع: «ان بامكاني، بأموالي التي سأرثها، أن أؤسس وكالة. لا بد أن هناك الكثير من الناس الذين يقدرون عوني ونصيحتي لأعمالهم الاجتماعية.»

فلوى روبرت فمه وهو يقول: «نعم، كثير.»

فنظرت اليه بحدة وهي تقول بتردد: «ألا تظن ذلك؟» لقد تكونت هذه الفكرة في ذهنها في الأيام الأخيرة. ولكن اية من تلك الخططلم تستقر عليها بعد، فقد كانت الفكرة ما زالت في طور النمو والاختمار، ولمَ لا؟ فانها اكثر من كفء لذلك، وهذا شيء كانت تتمناه على الدوام... أي ان تتمكن من إدارة أعمالها الخاصة، وبالتالي تصبح امرأة مستقلة.

هز كتفيه قائلاً: «اذا كان أي شخص يمكنه ان يقوم بهذا

العمل، فأنا متأكد من أن ذلك بامكانك أنت أيضاً. ومن المؤسف أن تضطري للعمل مع راف العبوس لكي تحصلي على إرثك، وان كنت، لا اظنه اكثر عبوساً من جوردان. ما الذي جعله لا يعترض على رحيلك بهذا الشكل؟»

فأجابت دون تردد: «الكبرياء.» ذلك أن جوردان لم يكن ليعترف ابداً بعدم امكانه السيطرة على اي وضع كان. وتابعت تقول: «بجانب هذا، ما الذي بامكانه ان يقول لأي انسان؟ فأنا فوق الثامنة عشرة، فليس بامكانه ان يفترض انني مفقودة مثلاً.»

فقال متهكماً: «ولماذا غيرت اسمك الى جين سميث اذن؟ تحسباً لما يمكن ان يحدث؟»

فاحمر وجهها لتهكمه هذا وقالت تدافع عن نفسها: «وماذا، في رأيك، ستكون ردة الفعل عند راف، لو انني كنت اخبرته باسمي الكامل؟»

همهم روبرت وهو يومىء برأسه قائلاً: «لقد فهمت قصدك.»

وعادت تقول بأسى: «لا تظن انني لم اجرب ذلك. لقد تقدمت الى اكثر من عشر وظائف في المدينة قبل ان احظى بهذا العمل هنا، وفي الأماكن التي استعملت فيها اسمي الكامل، كانت النتيجة دوماً هي واحدة، اذ يسألونني لماذا أريد الوظيفة اذن؟ ويكفي ان راف لا يثق بي، فكيف مع كل تلك التعقيدات؟»

فقال روبرت كمن يقرر حقيقة واضحة: «ذلك لأنك انثى.»

فقالت: «هذا ممكن.» ولكنها، مع هذا لم تكن متأكدة مئة بالمئة من صحة هذا الافتراض، وتساءلت عما اذا كان

شبهها لتلك المرأة ديانا، التي سبق ودخلت حياة ابيه، له دخل في ذلك. وربما ما كان لها أن تعرف ذلك أبداً.

وقال: «حسناً، انني لن احسدك على موقفك من جوردان حين تقابلينه وتشرحين له الأمر. ولكنني أفهم من كلامك هذا انك لا تريدينني ان اذهب اليه لأجلك.» وابتسم وهو يقول ذلك ليغيظها.

فأجابت: «انني سأقتلك قبل ان تقوم بذلك.»

وتصورت اي احراج سيسببه لها حضور جوردان الى هنا للبحث عنها!

سألها: «وماذا استفيد انا مقابل سكوتي؟»

فردت عليه بسرعة: «ماندي بادبوري.» وكانت تذكره بعلاقة تسبب له حرجاً كبيراً مع فتاة يحرص هو على ان لا يعرف والداه عنها شيئاً.

عبس وقد بانت في وجهه الهزيمة، وهو يقول: «هذا ليس عدلاً.»

وضحك الاثنان، ولكن المرح سرعان ما تلاشى من نفسها بعد خروج روبرت. ذلك انه مازال أمامها مواجهة راف بعد ليلة امس...

الفصل الخامس

ما هذا الصوت الغريب؟

إنه لم يكن صوتاً عالياً، وانما رتيباً رغم أنه كان غير منتظم، أو ربما بدا رتيباً لأنه لم يكن منتظماً؟ كان يبدو وكأنه تتابع قطرات ماء تنزل من صنبور.

ولم يوقظ هذا جين، ذلك لأنها لم تكن قد نامت بعد، فمواجهتها التي كانت تخشى منها مع راف، ما زالت في انتظارها. لقد خرج إلى المزرعة مباشرة بعد رحيل ضيوفه وبقيت جين طويلاً في غرفتها قبل أن تسمع صوت سيارته تعود.

ربما لم يذهب إلى المزرعة وربما كل أسرته كانت على خطأ بالنسبة إليه، وربما ايضاً لديه صديقة في مكان ما من المنطقة. مع انها من القليل الذي عرفته عن شخصيته أثناء المدة التي أمضتها هنا، متأكدة من أنه ليس من نوع الرجال الذين يلهون مع امرأة.

ساورتها كل هذه الخواطر أثناء وجودها في المكتبة تبحث عن كتاب تقرأه إذ لم تستطع النوم، حيث سمعت ذلك الصوت الذي هو أشبه بتساقط قطرات ماء من صنبور.

ربما كان هنالك لص يحاول أن يكسر زجاج النافذة بحذر لكي لا يوقظ سكان المنزل ذلك أنها هي نفسها، ما كان لها أن تسمع هذه الأصوات لو لم تكن في الطابق الأسفل.

وتبعت بخفة ذلك الصوت، بينما قميص نومها الأزرق

www.elromancia.com

اللون والروب فوقه، يخفقان حول كاحليها وهي تنقل قدميها المنتعلين خفاً ملوناً لا صوت له.

وبدا لها الصوت قادماً من غرفة مكتب راف، وكان النور ينبعث من خلال مصراع الباب المفتوح قليلاً، رغم ان الوقت كان الساعة الثانية صباحاً تقريباً.

من تراه يكون هنا في هذا الوقت من الليل؟ لقد ذهب راف إلى فراشه منذ ساعات. أو انها افترضت ذلك على الأقل...

لم تكن كلمة (الليونة) لتنسجم مع شخصية ذلك الرجل الخشن المتعجرف، ولكنها كانت الكلمة الوحيدة التي يمكن أن تصف بها معالجة ذلك الرجل ذي السابعة والثلاثين، لمفاتيح الآلة الكاتبة وكأنها شيء غريب.

والظاهر أنه أمضى مدة طويلة منكباً على عمله هذا، إذ كان حاجباه معقودان باهتمام، بينما الورقة التي كانت في الآلة الكاتبة مطبوعة إلى منتصفها. ولا بد أنها استغرقت منه ساعات لكي ينجزها بالنسبة إلى طباعته البطيئة هذه. فلا عجب إذن أن يستحسن طباعتها الخالية من الأخطاء رغم بطئها، ما دام عمله هو بهذا الشكل.

ولكن، ما الذي جعله يقوم بالطباعة أصلاً؟ إن هذه مهمتها هي في هذا المنزل. لعله لم يكن يريدها أن ترى ما يكتب والموضوع الآن هو، هل تدعه يراها هنا أم ان من الأفضل أن تنسحب عائدة إلى غرفة نومها دون أن يراها؟

وبينما كانت توجه هذا السؤال إلى نفسها رفع هو رأسه ناظراً في اتجاهها.

قال بخشونة: «ما الذي تفعلينه هنا؟»

لم يسبق لها من قبل، قط، أن قابلت رجلاً جعلها تشعر معه بمثل هذا الضيق.

ولكن منظر هذا المكتب الذي تناثرت فوقه أوراق العمل في مثل هذا الوقت من الليل، وكذلك هذا الرجل العابس وراء المكتب... كان هذا المنظر مألوفاً لديها تماماً إذ كان يذكرها بجوردان.

وسألته: «أيمكن أن أحضر إليك شيئاً من القهوة والخبز المحمص مع الزبدة؟» ولم يكن لديها فكرة عما إذا كان قد تناول طعاماً خارج المنزل أم لا. ولكنها كانت تعلم بالتجربة، ان القهوة والخبز المحمص مع الزبدة في مثل هذا الوقت من الليل، كان ينعش جوردان.

فاستقام راف في جلسته وقال متجاهلاً عرضها ذاك: «ما كان لك أن تبقي مستيقظة إلى هذا الوقت من الليل.»

فأجابت: «لم أستطع الرقاد.»

فقطب حاجبيه وهو ينظر إليها متفحصاً ثم قال: «هل تشعرين بألم؟»

ولكن الرضوض في جسمها لم تعد تزعجها إذا استثنينا وخزاً في كاحلها وألماً خفيفاً في وركها. ولكن هذا لم يكن يسبب لها الأرق في الليل مطلقاً والذي كان سببه، فقط هو التفكير في هذا الرجل.

واعترفت قائلة: «إنني أحياناً أشعر بالألم، ولكن لم يعد هناك أي ألم حقيقي.» ولاحظت أن الارتياح ظهر على وجه راف بسرعة لدى سماعه هذا.

وعادت تجيب عن سؤاله الأول: «في الواقع، كنت أبحث عن كتاب في المكتبة عندما سمعت صوت طباعتك على الآلة

الكاتبة، مع أنني لم أدرك انها طباعة في البداية، بل ظننت أنه ربما كان هناك لص.»

«ولكنك جئت لتري ماذا يحدث. على كل حال يبدو أنك معتادة على خلق المشكلات لنفسك بعدم توخيك الحذر.»

فردت بحدة: «ولكنني لم أكن أنوي أن أقبض على اللص بنفسي.»

فابتسم راف بفتور وهو يقول: «إنه على كل حال كان سيضيّع وقته، إذ لا شيء في هذا المنزل يستحق السرقة.»

قالت جين بحزم: «سأحضر القهوة.»

رمقها راف بنظرة ساخرة وهو يقول: «لا يبدو أنك بهذه الثياب قد اعتدت القيام بأي عمل، سوى الاختيال. هل تعرفين الطريق إلى المطبخ؟»

جاهدت هي لكي لا تردّ عليه، ثم تركت الغرفة وهي تبتسم بتوتر. لم تكن قد توقعت أن عرضها هذا سيلطّف من طباعه، وإلا كانت ستصاب بخيبة أمل ولم تكن هي تعرف مكان المطبخ فقط، في هذا البيت الواسع، وانما كانت تعرف مكان كل شيء تحتاجه. ولم يكلفها صنع إناء القهوة وطبق مليء بالخبز المحمص مع الزبدة، سوى وقت قصير جداً.

وعندما اقتربت من مكتبه، كان صوت طباعة راف لا يزال يخترق سكون المنزل، ولكن رغم كل تهكمه عليها، نهض حالاً عند رؤيتها ليفسح على مكتبه مكاناً للصينية.

وعندما ابتدأت تسكب القهوة في الفنجانين الخزفيين، قال: «لا أريد حليباً في القهوة من فضلك.»

ولكن الغريب أن طعم القهوة في ذلك الفنجان الخزفي، بدا لهما في ذلك الوقت أفضل من المعتاد. ووافقها راف

على ذلك هو أيضاً، وقد بان عليه السرور بجلاء وهو يأكل عدة قطع من الخبز.

بدا عليه التحسن وخفت الخطوط حول فمه بينما عاد إلى وجنتيه بعض اللون الوردي، ما جعلها تشك في أنه قد تناول عشاء هذه الليلة. لقد كان رجلاً ضخم الجثة، وعدم تناوله وجبات كافية يضرّ بصحته. وكذلك العمل في المكتب إلى هذا الوقت المتأخر والذي تعلم أنه عادة يكون في المزرعة حوالي السابعة صباحاً.

أشارت إلى الأوراق التي لم تتم طباعتها بعد، وهي تقول برقة: «ألا يمكن أن ينتظر هذا العمل حتى الصباح؟»

فغمغم قائلاً وهو ينظر إلى العمل الذي كان يقوم به: «كما سبق وقلت لك، ليس لديّ وقت فراغ للقيام بهذا العمل أثناء النهار، ولهذا طلبت منك البقاء لانجازه.»

فقالت: «ولكن، حسب قولك من المفروض ان أقوم أنا بهذا العمل.»

هز رأسه قائلاً: «هذا الملف هو سرّي للغاية، ولا يمكن أن أسلمه لأي شخص آخر.»

لم يقل انها ليست موضع ثقة ما دام لا يعرف حتى اسمها الحقيقي.

قالت له ساخرة: «من تراني أكون، يا راف؟»

هز كتفيه وهو يراقبها من خلال عينين ضيقتين ثم قال: «أخبريني أنت.»

فتنهدت وهي تقف قائلة: «لا بأس، إذا كان هذا ما تريد، فابحث عنه وحدك.»

فقال ساخراً ببطء: «إنك حساسة جداً هذه الليلة. تناولي

بعض الخبز.» ودفع نحوها بالطبق وهو يتابع: «إنه أفضل خبز مع الزبدة تذوقته في حياتي. فالزبدة فيه معتدلة تماماً دون زيادة أو نقصان. وهي ذائبة تماماً في الخبز المحمص.»

وإذ لاح غصن الزيتون، كان للأمور أن تتحسن بينهما، ولكن بالنسبة إلى راف كوينلان فهي تعلم أنها لن تظفر بأكثر من هذه الكلمات الرقيقة.

وبالنسبة إلى الخبز المحمص الذي تصنعه، فقد جاء نتيجة تجارب كثيرة مع جوردان. كان بمثل صرامة راف نفسه إلى من يقوم بخدمته، وكان اهتمامه بكيفية صنعها الخبز المحمص مع الزبدة له، يبدو وكأنه يدفع لها أجراً على ذلك.

لقد كان الرجلان متشابهين، ليس في الشكل فقط بل في تصرفاتهما أيضاً. إلا ان راف يمتاز عنه بشيء من روح الفكاهة، كما أن جوردان ما كان ليقبل قط بوجود جين سميث في منزله إذا كان لديه أقل شك في أن هذا هو اسمها الحقيقي. فهو لا ينظر إلى ذلك بمثابة تحدٍ له عليه اكتشافه كما يفعل راف.

أكلت جين نصف قطعة من الخبز ليس لأنها كانت جائعة، بل لأنها أرادت أن تظهر له أنها لا تضمر نحوه أي استياء لأنه أظهر عدم ثقة بها كافية لأن لا يسلمها هذا الملف السري لكي تطبعه له، فذلك التصرف منها سيبدو صبيانياً لا فائدة منه.

وردت عليه بالنسبة إلى الخبز والزبدة: «إنه كما اعتادت الأمهات أن تصنعه.»

فلوى راف فمه وهو يقول: «لا أظن أن أمي صنعت لي خبزاً وزبدة مرة واحدة.»

قالت تغيظه: «ألم يحدث أنها قدمت لك خبزاً محمصاً مع بيضة مسلوقة عندما تكون مريضاً؟» وتصورته صبياً صغيراً أسود الشعر واسع العينين، لا بد أنه كان رائع الجمال.

وأجابها هازئاً: «كلا.»

فقالت بمكر: «وكذلك أمي لم تفعل هذا، لقد ماتت أثناء ولادتها لي.»

فقطب جبينه قائلاً: «هذا مؤسف.» وكان يبدو عليه التأثر حقاً وليس مجرد مجاملة منه.

ابتدأت هي تتحدث إلى نفسها، وقد شردت أنظارها مع الذكريات: «كان معروفاً أن زواج والديّ كان مهتزاً جداً، وبقي كذلك عدة سنوات. ويبدو أن الحمل بي كان آخر محاولة لهما لرأب الصدع الذي كان يزداد اتساعاً بينهما مع الأيام. ولا أظن أن أبي غفر لي يوماً تسببي في موت والدتي دون أن تتحقق تلك الرغبة. لقد كان أبي رجلاً نظامياً للغاية.» ونطقت بالجملة الأخيرة دون أية مرارة، وكان صوتها قد أصبح الآن فاتراً.

ولم تدرك جين أنها قد كشفت، في تلك الجمل المختصرة التي نطقت بها، عن سنوات طفولتها الموحشة عندما أخذت في البداية تحاول اكتساب حب أبيها وذلك بتحسين سلوكها لكي تجعله يفخر بها. وعندما فشلت في ذلك، أخذت تظهر الانفعال في تصرفاتها لكي تحمله، على الأقل على الانتباه إليها.

www.elromancia.com

وقد نجحت في ذلك، وانتبه والدها فعلاً، ليسرع فيضعها في مدرسة داخلية لتعمل هي على أن تطرد منها، ثم مدرسة داخلية أخرى، ثم أخرى... وذلك لتمردها الدائم، إلى ان أصبحت في النهاية كبيرة في السن بما يكفي لتترك المدرسة.

ولكن أباها لم يشأ لها أن تعود إلى البيت، فتدبر أمر ارسالها إلى مدرسة تنهي بها دراستها في سويسرا.

كان التمرد والرغبة في الظهور قد أصبح جزءاً من حياتها عند ذاك، وبقيت كذلك إلى أن توفي والدها منذ عامين.

وعندما وقفت على قبره أثناء مراسم الدفن، أخذت في التساؤل عما إذا كان ثمة شيء لم تقم به لكي تكتسب حبه، ولكن صدى تساؤلها هذا كان (كلا). لقد كانت في نظر أبيها سبب موت أمها، وبموت هذه الأخيرة لم يعد ثمة ضرورة لها. لقد أصبحت ببساطة مجرد شخص يثير ذكرياته، فهو لا يريد أن يقع نظره عليه.

وهي لم تتحدث إلى أحد قط، من قبل ولو تلميحاً، عن الرفض الذي لاقته من أبيها منذ ولادتها.

نظرت ذاهلة إلى راف وهي تتساءل لماذا اختارت هذا الرجل بالذات لكي يرى آلامها الكامنة تحت تلك القشرة الزائفة منها؟

وبدا انه انتبه إلى عدم الثقة والضعف اللذين كشفت عنهما دون وعي منها، فقال: «إن زواج والديّ لم يكن موفقاً هو أيضاً، فقد كانا منفصلين مدة طويلة أثناء طفولتي. وذكرى أمي عندما عادت إلى حياتي، بعد ذلك هي ذكرى ضعيفة،

وهذا هو ما جعل عمتي تلقي بكلامها البعيد عن اللباقة، في تورط أبي مع امرأة أخرى.»

إنه يتحدث عن ديانا، المربية... مربية راف. وازدردت جين ريقها بصعوبة، وهي تقول: «هل كنت تحبها؟ أعني ديانا، المرأة الأخرى التي قالت عنها عمتك إنها كانت مربيتك... والتي ذكّرتها أنا بها؟»

هزت كتفيها عندما رأته يضمّ شفتيه بقوة وهو يقول بحدة وخشونة: «هراء... آه انني أوافقها على أنه يوجد شبه سطحي في لون بشرتك وبنية جسمك، وهذا كل شيء.»

فقالت جين وهي تتذكر ببطء: «لقد قالت السيدة هوارد هي أيضاً، إنني أذكّرها بشخص ما وذلك عندما رأتني لأول مرة.» وسكتت جين وهي ما زالت تفكر. كانت متأكدة من أن السيدة هوارد كانت تقصد هذه المرأة، ديانا، بذلك وعندما عرفت أن راف قد سبق له الزواج، ظنت أنها كانت تذكرهم بسيليا.

ديانا، كانت مربية...

هل هي أمها؟

إن الطريقة الوحيدة للتأكد من ذلك هو أن تسأل راف عما إذا كان اسم مربيته ديانا هولمز والذي كان اسم امها الكامل، ولكنها لم تكن مستعدة لترك وظيفتها هنا.

هذا إلى أن ديانا الأخرى تلك كانت قد تورطت مع والد راف، فهي لا يمكن أن تكون أمها.

أحقاً لا يمكن ذلك؟

وعاد راف يقول نافياً ذلك الشبه: «لقد أخبرتك أن الشبه سطحي جداً ولولا شعرك لما فكر أحد في ذلك.»

لقد رأت شعر أمها في كل صورها الفوتوغرافية بنفس لون وطول شعرها هي، جين...

وانتصب راف واقفاً ثم اقترب منها قائلاً: «لقد تأخر بنا الوقت، إننا تعبان نحن الاثنين، وبحاجة إلى شيء من النوم.»

ولكنها لم تكن متأكدة من أن بامكانها الرقاد بعد كل هذا.

ومد يده يلامس وجنتها الشاحبة، وهو يهز رأسه مؤنباً إذ رآها تهتز قليلاً، ثم يتمتم: «منذ أيام قليلة فقط، كنت مصابة برضوض سيئة جداً، لا تقاومي.» قال ذلك بلطف عندما كانا يصعدان السلالم إلى غرفتها.

تنفس بعنف، قائلاً: «من المفروض ان أهتم بالعناية بك، وليس أن...»

وهز رأسه مشمئزاً من نفسه، وهو يقول: «ان الوقت المتأخر من الليل هذا، هو المسؤول عن كل هذه المشاعر وليس أي شيء آخر.»

واستدار فجأة خارجاً من الغرفة.

جلست جين على سريرها، وعيناها بحيرتان كبيرتان زرقاوان يتجلى فيهما الضعف.

«مخابرة هاتفية؟» وقطبت جين جبينها وهي تنظر إلى السيدة هوارد في الصباح التالي بينما كانت جالسة إلى المكتب الذي تعمل عليه.

وأحست باهتمام تلك المرأة إزاء هذا الهاتف الذي كان الأول الذي تتلقاه منذ وصولها إلى هذا المنزل منذ أسبوع تقريباً.

ومن يلومها؟

وقالت تسألها بدهشة: «هل أنت متأكدة من أنه لأجلي أنا؟»

إنها هي نفسها لم تعد متأكدة من شيء، فلماذا لا يكون الآخرون كذلك؟

وأجابت المرأة بشيء من الاستياء للشك الذي بدا من جين بكلامها: «طبعاً أنا متأكدة.»

ووقفت جين ببطء، وهي تشكرها لتتوجه بعد ذلك إلى الردهة حيث الهاتف.

لا بد أنه روبرت، فهو الوحيد الذي يعرف أنها هنا، والوحيد الذي يسأل عنها باسم جين سميث.

كان كل ما ترجوه هو أن لا يبدأ بمضايقتها من الآن فصاعداً بسبب هذا، ففي هذا الوقت بالذات لا تريده أن يتدخل في حياتها فإن عندها من المشكلات، ما يكفيها.

ورفعت السماعة لتقول بلهجة متوترة: «نعم.»

وأجابها الصوت الخشن غير المنتظر: «إنني جوردان، وأنا بالمناسبة بخير، ولكنني أريد أن أعرف كل شيء عن وظيفتك هذه، وسأنتظرك في مطعمنا المفضّل غداً الساعة الواحدة، فكوني هناك.»

وسمعت صوت السماعة توضع على الطرف الثاني للخط، بينما بقيت ذاهلة عدة دقائق.

لقد كانت على شيء من الصواب في تكهنها، لأن روبرت هو دون شك، من أخبره بمكانها.

وإذا هي لم تقابل جوردان غداً لتناول الغداء، فهو سيقصدها إلى هنا حتماً.

وهذا ما سيثير أمامها الكثير من المتاعب.

www.elromancia.com

الفصل السادس

عندما اتصلت جين بروبرت لتبلغه رأيها في خيانته تلك لها، هتف في منتهى البراءة: «أنا؟»

قالت له ببرود: «إن مسألتك مع ماندي لم يكن فيها الكفاية من الردع، أليس كذلك؟»

فأجاب متملقاً وقد نسي إنكاره: «ليس الأمر كما تظنين، ذلك أنني، عندما رجعت إلى المدينة مساء الأحد قابلت جوردان بالصدفة. وكان في أشد القلق عليك، ففكرت أنا في أنه إذا حدث يوماً وعلم انني كنت أعلم مكانك، ولم أخبره... تصوري نفسك مكاني، يا ريا...» وتصورت جين ذلك. إن جوردان مخيف حقاً، ولكن هذا يجعل وضعها هنا صعباً، وبسبب روبرت، عليها الآن أن تحصل على عطلة نهار الغد لكي تذهب إلى المدينة لمقابلة جوردان.

لم يعد لديها ما تقوله لروبرت عن هذا الموضوع، ولكنها جعلته يعرف مدى ضيقها وانزعاجها من تصرفه.

وكانت الصعوبة هي في أن تطلب من راف يوم عطلة. ذلك أنها لم تتم الأسبوع في خدمته. وكان قد اعتاد عدم تناول العشاء معها منذ رحيل عمته وزوجها، وهكذا لم يكن أمامها سوى أن تذهب لرؤيته في مكتبه بعد انتهائها من العشاء.

وكان على ناحية من المكتب، صينية عليها عدة اطباق فارغة تنبيء عن أنه تناول عشاءه.

وبدا لها هذا المساء، اكثر تعباً من أي وقت آخر. وعندما

رفع عينيه ينظر إليها عند دخولها، لمحت في عينيه نظرة حذرة.

عرفت سبب هذا الحذر في نظراته، عرفت أنه كان محتاراً بالنسبة إلى العلاقة التي بينهما.

ولا بد أن شعور رجل مثل راف مؤلم.

حسناً، إذا كان يظن أنها تتوقع منه أي شيء بعد الذي حدث الليلة الماضية، فهو مخطيء. فهي تعلم أنه ليس عليها أن تتوقع شيئاً من رجل مثل راف. قالت وهي تدخل: «لقد أحضرت قهوة لنا نحن الاثنين.»

شكرها باختصار، وهو يقف ليتناول فنجاناً عن الصينية قبل ان يعود فيجلس خلف مكتبه.

ترددت جين قليلاً، ثم جلست على كرسي قبالته. لم تكن أمامه هذه الليلة، الآلة الكاتبة وإنما كان يكتب بيده صفحات طويلة.

رأى نظراتها فقال متردداً بدوره: «لقد صممت على أن أعيد كتابة التقرير باليد، وأظن أن من الأفضل أن أقبل ما عرضته عليّ الليلة الماضية في أن تطبعيه بنفسك.»

كم يا ترى كلفه هذا القرار... قالت بهدوء: «لماذا؟»

فهز كتفيه وهو يجيبها: «إن التقرير مستعجل.» وسكت فجأة وقد بدت عليه الانزعاج لاضطراره إلى تغيير رأيه بهذا الشكل بعد الذي قاله لها الليلة الماضية. ثم تابع قائلاً: «أريدك أن تبدأي العمل به في أسرع وقت ممكن.»

فقالت: «طبعاً. سأبدأ بالطباعة الآن إذا كنت أنت قد انهيت قسماً منه.»

فارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة وهو يقول: «لا

حاجة بك إلى العمل هذه الليلة. يمكنك إرجاء ذلك إلى الغد.»

فسكتت برهة، ثم قالت متلعثمة: «إنني... إنني أعرف أن ما سأطلبه منك هو بدون حق... و... ولكنني أريد عطلة غداً.» ونطقت بالجملة الأخيرة بسرعة وهي تنظر إليه.

رد عليها، بعد ثوان، قائلاً بينما عيناه تتأملان وجهها المتضرج: «لماذا؟»

فأجابت مكرهة: «إنني بحاجة إلى الذهاب إلى لندن.» لم تكن تستطيع أن تغيب نهاراً كاملاً دون أن تخبر راف بذلك. قد لا تكون معتادة على أن تكون موظفة ولكنها بطبيعة الحال، تعرف ذلك.

قال لها بخشونة: «إن عطلتك هي السبت والأحد.»

فقالت: «إنني على استعداد للعمل نهار السبت بدلاً من يوم غد.»

فتنهد وهو يريح ظهره إلى مسند الكرسي، قائلاً: «إنني أعلم أن لا حق لي في التدخل في شؤونك...»

فأجابت بحزم: «كلا، لا حق لك.»

فهز رأسه قائلاً: «لقد أصبحت مسؤولاً عنك منذ اللحظة التي وقعت فيها على الرصيف أمام سيارتي.»

فنهضت فجأة، مستديرة إلى حيث الآلة الكاتبة حيث تعمل في العادة، وهي تقول بحدة: «إنني اعفيك من هذه المسؤولية. فأعطني، إذا سمحت، الأوراق التي أنجزتها لكي أباشر العمل.»

مدت يدها إليه لتأخذ منه الأوراق بينما أمسكت الآلة بيديها وحملتها.

ناولها الأوراق تلك وهو يقول مشيراً إلى الآلة: «إلى أين تذهبين بهذه؟»

فأجابت: «لأشتغل على مائدة غرفة الطعام إذا لم يكن لديك مانع.»

فقال: «إنك لن تضايقيني إذا اشتغلت في هذه الغرفة.»

فكرت في أنها قد لا تضايقه فعلاً ولكنه هو الذي يضايقها، إذ ليس في إمكانها أن تجلس معه في نفس الغرفة دون أن يشغل حضوره بالها. ليس في إمكانها أبداً أن تعمل بينما يجلس هو خلفها. وردت عليه بعناد وهي تستدير لتخرج: «من الأفضل أن أذهب إلى الغرفة الأخرى.»

فأوقفها قائلاً بصوت خشن: «جين.»

استدارت إليه ببطء. فقال يحذرها وقد بانت الخشونة على ملامحه: «لا تقومي بأي عمل أحمق.»

كان يعتقد بأنها ذاهبة غداً لتقابل حبيبها المزعوم. حسناً، إذا كان يعتقد أن حياتها السابقة في لندن، ما زالت تجذبها، فهو مخطىء. كان من الغريب حقاً أنها لم تفتقد حياتها هناك مطلقاً. آه، ولكنها تفكر في جوردان، متمنية لو لم يحدث ذلك الصدع بينهما. ولكنها لم تفتقد أي جزء آخر من حياتها التي أمضتها معه.

ولم تشأ أن تفكر في أن انجذابها المتنامي نحو راف هو السبب في ذلك. وإذا كان من الممكن أن تقوم بأي عمل أحمق، فسيكون هنا مع راف وليس في لندن، ذلك أن الوقوع في حبه سيكون اكثر الأعمال التي قامت بها، في حياتها، حماقة.

وقالت تطمئنه: «كلا، لن أفعل.»

فعاد يذكرها قائلاً: «وهذا التقرير سري جداً.»

قطبت حاجبيها لإصراره على تكرار ذلك، وكأنها

ستندفع إلى الشارع وتذيع بملء صوتها محتوياته على الناس.

ولكن سبب اصرار راف على سرية هذا التقرير سرعان ما ظهر لها حالما ابتدأت العمل عليه.

كان راف يقدم عرضاً بتغيير المنزل إلى فندق والأراضي المحيطة به إلى مجمع ترفيهي، بينما جزء منه يخصص للعبة الغولف.

تابعت جين قراءة بقية التقرير بنهم وهي تدرك من خلال محتوياته، أن راف يعرض على البنك صفقة متعددة العناصر لكي يموله بالمبلغ اللازم لتنفيذ طموحه هذا.

بدا هذا الطموح كبيراً في الحقيقة، كما أن جين لم تشك مطلقاً في إمكانية تحقيق راف لهذا. فهي متأكدة من أنه يستطيع أن ينجز بنجاح، أي مشروع يقتنع به، ولكن التمويل هو المشكلة الوحيدة هنا.

وما هو رأي الباقين من أفراد الأسرة إذا هم عرفوا بمشروع تحويل هذه الأملاك إلى مجمع للرفاهية؟ وجاءها صوت راف يقول: «إنهم لم يعرفوا به بعد.» ورفعت جين نظرها بحدة إلى مصدر الصوت هذا، وكان شعرها يتماوج كالحرير على ظهرها بعد إذ تركته مسترسلاً هذه الليلة، كما أن الثوب الأسود الذي ارتدته قد توخت فيه الراحة اكثر من التأثير على الناظرين، بالرغم من أن اللون القاتم يجعل شعرها يبدو كاللهب.

كان راف يقف عند باب غرفة الطعام، وعندما نظرت إليه، دخل إلى الغرفة مغلقاً الباب خلفه. ثم قال وهو يتخلل شعره القاتم الكثيف بأصابعه: «لقد عرفت أنك ما

أن تشرعي بقراءة هذا التقرير، حتى تفكري برأي بقية الأسرة.»

بللت جين شفتيها بلسانها وهي تقول: «يبدو أنه مشروع رائع.» وهل بإمكانها أن تقول غير هذا؟

فابتسم وهو يقول متهكما: «ولكنه ليس كما تتمنى عمتي العزيزة، تماماً.» وتملكها الشك هي أيضاً، ذلك أن امرأة مثل أنيتا بارنز سترى أن من الابتذال تحويل مزرعة إلى مجمع لاهتمامات عدة مهما بلغ مستواه من الرفاهية.

هز راف رأسه وهو يقول: «ليس عندي فكرة عن حل لمسألة تمويل هذا المشروع.» ونظر حوله وكأنه سجين لظروفه تلك.

وسألته: «ألا تملك عمتك وزوجها مالاً كافياً؟»

لوى شفتيه قائلاً: «ليس عندهما ما يكفي. كلا، يجب أن تتحول المزرعة إلى مشروع يمول ذاته. إن زراعة الأرض لا تفيد، ونحن لا نملك من الأملاك ما يكفي لتسيير الأمور.» وهز كتفيه بصبر نافد، متابعاً: «حتى أنني لست متأكداً من صلاحية هذا المشروع. وأنا قد تركته للبنك ليقرر ذلك.»

ولكن هذا المشروع بدا لها غاية في الصلاحية. فهو من ذلك النوع المرغوب من الأماكن التي ألفتها، هي واصدقاؤها البريطانيون، في السنوات الأخيرة. فهو يحوي كل أنواع الرفاهة والعبث للأغنياء العاطلين عن العمل. ولكن، إذا سار راف في هذا المشروع الذي يحيل المزرعة إلى مجمع للترفيه، فهي لن تبقى ملكاً لأسرة كوينلان وحدها، وستنتهي العزلة في هذا المكان إلى الأبد.

سألت تختبره برقة: «هل هذا ما تريده أنت حقاً؟»

فأجاب بضيق: «ليس هذا هو الموضوع. إن مجال الاختيار أمامي محدود.»

شردت أفكار جين إلى ذلك الحديث الذي كان قد دار، مرة بينها وبين روبرت بشأن المرزعة، ثم سألته: «ماذا تظن بقية أفراد الأسرة سيشعرون تجاه هذا المشروع؟»

فقطب جبينه قائلاً: «أتعنين أنيتا وشركاءها؟»

فكبحت ابتسامة لدى سماعها تعبيره هذا، إذ لم يكن الموقف ليحتمل الهزل، وأجابت: «نعم، هو ذاك.»

تنهد قائلاً: «إنني لست أعمى عن تطلعات أنيتا بشأن المزرعة. ولكنني لا أريدها أن تتدخل في أعمالي مادمت على قيد الحياة. وفي نفس الوقت، لا بد للمزرعة من أن تنتعش وتعود إلى ما كانت عليه بأي شكل كان، وبطريقتي أنا.»

فأومأت جين برأسها قائلة: «إن المجمع الترفيهي كفيل بذلك.»

فتأملها بعينين ضيقتين، ثم قال: «وما رأيك أنت بهذا؟»

جفلت قائلة: «أنا؟» ما الذي تعرفه هي عن مثل هذه الأشياء، وماذا يتوقع منها أن تعرف؟

هز كتفيه قائلاً: «إنني فقط، ظننت أنك ربما تعلمين عن هذه الأشياء اكثر مما أعلم.»

لوت شفتيها قائلة بجفاء: «أتعني بالنسبة إلى ملابسي الغالية وأصدقائي الأثرياء؟»

فبان عليه الضيق وهو يقول: «ربما كنت متسرعاً قليلاً في هذا الافتراض.»

ابتسمت عيناها لدى سماعها شبه اعتذاره هذا. وقالت: «أحقاً؟»

فاقترب منها قائلاً: «أتريدين الحقيقة؟ لقد وصلت إلى مرحلة لم أعد أهتم فيها بأي شيء.»

نظرت إليه بعينين متسعتين، لقد ابتدأت تقع في حب هذا الرجل. ويبدو أن هذا مقدّر بينهما كما كان لقاؤهما الأول. ذلك ان احتمال لقائهما بأية طريقة أخرى، غير تصرف الأقدار، كان بعيداً جداً.

تألقت عيناه وهو ينظر في عينيها قائلاً: «لو كنت موجودة منذ بضع مئات من السنين، لأحرقوك باعتبارك فاتنة.»

سألته: «لماذا؟» كانت تعرف الجواب ولكنها كانت تريد أن تسمعه من بين شفتيه. تراجع فجأة مبتعداً عنها وكأنه ندم على ما تفوه به، ثم قال فجأة: «هل تتناولين العشاء معي مساء الغد؟»

لم يكن ثمة سبب يمنعها من الرجوع من المدينة غداً في هذا الوقت، ولكن هذه الدعوة غير المتوقعة جعلتها تتردد. ثم سألته مرة أخرى: «ولماذا؟»

فأجاب بعنف: «أوه، هل ينبغي أن يكون ثمة سبب لهذه الدعوة؟»

فنظرت إليه متأملة. لقد كانت تعلم أنه يكره أن يسأله أحد عن تصرفاته. ولكنها لم تكن متأكدة... وأومأت برأسها قائلة: «أظن ذلك... نعم.»

فعبس في وجهها وهو يقول: «لماذا لا تقبلين قبل أن يعود إليّ عقلي؟»

وكان هذا ما تخشاه هي أيضاً. ولكن هذه الدعوة منه إلى العشاء غداً، كانت اكثر من مجرد مصادفة في نظرها، بعد

www.elromancia.com

أن تملكه الشك في أنها ذاهبة لكي تقابل صديقها في لندن. كما أن آخر شيء كانت تريد، هو أن تجيب جوردان، بعد تناولهما الغداء، عن اسئلة سيوجهها هو أيضاً إليها، إنما بشأن راف، هذه المرة.

قالت له بضجر: «وجه إليّ هذه الدعوة مرة أخرى بعد الغد.»

فعبس وهو يدس يديه في جيبي بنطاله، ثم سألها: «وماذا سيكون جوابك؟»

فقالت عابسة هي الأخرى: «ربما بالموافقة.»

فقال: «إذن، أعطني الجواب الآن، فإما أن تخرجي معي لتناول العشاء، وإما لا. فأنا لن أعود إلى تكرار الدعوة.»

ولم يقل (أبداً) ولكنها فهمت معنى كلامه. فقالت: «نعم.» ولكنها كرهت شعورها باستبداده هذا. وكانت تعلم أنها لو لم تكن تشعر نحوه بمثل هذا الانجذاب، لما تجاوزت عن هذا التصرف منه. ثم قالت بحزم: «ولكن ليس غداً، بل الأربعاء.»

نطقت باسم هذا اليوم، وهو بعد غد، برأس مرفوع تحدياً، بينما أظلم وجهه بالغضب وهو يقول: «ولماذا بعد غد؟ هل تراك تتوقعين أن تكوني متعبة جداً عند عودتك غداً فلا يمكنك الخروج إلى العشاء؟»

كانت اهانته هذه واضحة. وبذلت جين غاية جهدها لكي تمنع نفسها من أن تخبره برأيها فيه وفي دعوته تلك، لأنها كانت تعلم بأنها لو فعلت ذلك، فلن تظفر أبداً بدعوة أخرى. وكانت مشاعرها من التهافت عليه لدرجة لم تكن تريد هذه النتيجة.

وقابلت نظراته بهدوء قائلة: «نعم. اتوقع بعد مسافة الطريق والتجوال في الأسواق، أن اكون من التعب بحيث لن أصلح لأكون مرافقة جيدة لك.»

لمعت عيناه. وأدركت جين أنه يريد أن يتشاجر معها لذهابها لتلك المقابلة، ولكنه لم يفعل، رغم أن الغضب كان يتفجر من كل خلية في جسده. وقال ببرود: «مساء الأربعاء إذن، الساعة الثامنة.» ثم استدار خارجاً صافقاً الباب خلفه بعنف. وجلست هي متهالكة في مقعدها شاعرة بالتوتر في أعصابها، فهي لم تعرف رجلاً قط من قبل مثل راف. وهذه هي المشكلة.

جلس الرجل الذي يبدو أشبه ما يكون براف، أمامها إلى المائدة في المطعم. وكان قد سبق وجلس إلى مائدتهما المعتادة قبل وصولها متأخرة عشر دقائق عن موعد الغداء الذي كان في الواحدة تماماً.

كانت تعلم أن جوردان لا بد أن يصل في الموعد المحدد بالضبط، وذلك عندما قادها النادل الذي كان على معرفة جيدة بهما هما الاثنين، إلى حيث كان.

وكانت أيضاً تعلم أنه كان يتظاهر بمراجعة قائمة الطعام بينما كان الغضب يغلي في داخله لتأخرها هذا. ولكن جوردان كان متأكداً من حضورها، كما كان يعلم أنها قد تتأخر.

لم يتغير جوردان كثيراً أثناء الأسبوعين اللذين فارقته فيهما، بينماكان يجب أن يبدو مختلفاً، كأن يطول شعره مثلاً... أي شيء يدل على مرور الزمن عليه هو أيضاً. ولكن جوردان لم يكن يتغير أبداً. فهو أنيق دائماً، وخالٍ دائماً من

أي عيب. وشعره مرتب على الدوام. ذلك الشعر الكثيف القاتم القصير باستمرار، مع أن جين لم تنتبه قط إلى الوقت الذي كان يزور فيه الحلاق خلال وقته المزدحم بالعمل على الدوام. وربما كان يستدعي الحلاق إلى مكتبه فيحلق له هذا شعره الأشعث الطويل الخارج عن الطراز المألوف. بدا منظر جوردان غاية في الأناقة والترتيب.

ولكنها كانت تحب جوردان، وما زالت، مهما كان شكله. أما بالنسبة إلى راف فلم تكن متأكدة من شعورها نحوه بعد.

وأخيراً، فرغ صبر جوردان. وقال بحدة: «حسناً؟»

ابتسمت جين له بوجه مشرق. فهي لا تشعر نحوه بالرهبة التي يشعر بها الآخرون. وكان هو يعرف هذا. وقالت: «إنني مسرورة لأنك اتصلت بي إذ أن لدي ما أود أن اطلعك عليه.»

فرد عليها ثائراً: «لديك...»

فقاطعته بقولها ساخرة: «جوردان، أرجوك. إن الناس ينظرون إلينا.»

قال بعنف: «إنني لا أهتم مثقال ذرة بما يفعله الناس.» ولكنه، مع هذا خفض من صوته قليلاً وقد لمعت عيناه الرماديتان المائلتان للزرقة بالغضب، إذ بدأ يفقد سيطرته على نفسه، وهو يتابع قائلاً: «أريد أن أعلم أية لعبة تقومين بها؟»

فاتسعت عيناها ببراءة وقد عادت إليها ثقتها بنفسها بعد أن عادت إلى عالمها هذا بين هؤلاء الزبائن الأثرياء في هذا المطعم مرتدية ملابسها الغالية الثمن التي طالما سخر منها راف.

وساورها شعور غريب بأنه من الممكن لجوردان وراف أن ينسجما معاً تماماً بالرغم من اختلاف طريقة حياتهما، والسبع أو ثماني سنوات التي تفرق بين عمريهما، ذلك أنهما كانا متشابهين جداً في كثير من الأشياء، وربما كان هذا هو السبب في انجذابها القوي إلى راف. وردت عليه قائلة برزانة: «إنني لا أقوم بأية لعبة، يا جوردان. بل يتملكني شعور بأن الأيام التي أمضيتها في اللعب، قد ولت ومضت.» وبان الأسف في لهجتها وهي تنطق بكلماتها الأخيرة.

نظر إليها بارتياب قائلاً: «ماذا تقصدين بذلك؟»

هزت كتفيها مظهرة عدم الاكتراث بما قالت، ربما لأنها لم تشأ أن تعترف بالجواب الحقيقي، ثم تنفست بعمق وهي تقول: «ما هو رأيك في مدى نجاح تحويل منزل ضخم في مقاطعة ملحقة به، إلى فندق ومجمع للترفيه؟»

فلوى جوردان فمه بسخرية وهو يقول: «إنك تسبقين الوقت قليلاً، أليس كذلك؟»

فنظرت إليه عابسة وهي مازالت مستغرقة في التفكير لا تكاد تلحظ العصير الذي جاء به النادل إليهما، بينما كانت قائمة الطعام مطوية أمامها. وعاد يقول ساخراً: «هل ابتدأت بإنفاق إرثك؟ ما زال أمامك إحدى عشر أسبوعاً قبل أن تتمي الحادية والعشرين.»

فألقت عليه نظرة ضجرة وهي تقول: «إنني لا أتحدث عن نفسي.»

فاستحال عبوسه إلى حيرة وهو يقول: «عمن تتحدثين إذن؟»

www.elromancia.com

تنهدت أمام اصراره ثم قالت: «عن صديق.» وفكرت أن قولها لجوردان أن لا يتدخل في ما لا يعنيه يعني أن لا يعطيها أي جواب لسؤالها هذا. وإذا كان هناك من يمكنه إعطاء رأي في مدى نجاح مشروع راف، فهو جوردان.

قال جوردان بدهاء: «إن من يملك منزلاً في الريف، لا يمانع في تغييره.»

قالت: «إنني لم استعمل صيغة المذكر في حديثي.»

أجاب ساخراً: «وهل كنت ستهتمين بإلقاء هذا السؤال لو كان موضوع الحديث مؤنثاً؟»

عبست قائلة: «إنني لا أحب تعريضك هذا.»

فقال: «أحقاً؟»

ضايقتها سخريته. هل تراها كانت، فيما مضى، أنانية، كما يعني ضمناً في إشارته تلك؟ وإذا كان هذا صحيحاً، فإن هذا يعني أن معرفتها براف قد غيرت من كل هذا.

قالت بضيق: «جوردان، أجبني عن سؤالي الأول.»

فقال مفكراً: «إن وظيفتك هذه هي في منزل كوينلان. وهو منزل كبير تابع لإقطاعية تحيط به، تبلغ مساحتها آلاف الأفدنة. أليس هذا (الصديق) الذي تتحدثين عنه هو رافرتي كوينلان؟» قال هذا وهو يرمقها بعينين ضيقتين.

دهشت جين، ولكنها مالبثت أن راجعت نفسها إذ ليس لها أن تدهش من شيء كان لها أن تتوقعه منذ علم جوردان بعنوانها وكل شيء عن المنزل الذي تقيم فيه وسكانه. ومع هذا، شعرت بالرغبة في أن لا تتورط في حديث طويل عن راف.

وسألته بحدة: «هل عليك أن تعرف كل شيء؟»

أجاب بصوت قوي: «نعم.»

تنهدت قائلة: «ولماذا لا تجيبني عن سؤالي المتعلق بالعمل، مباشرة؟»

أجاب بحدة: «ربما لأن (السؤال المتعلق بالعمل) هو آخر شيء توقعته منك. لم يبدر منك قط أيّ اهتمام بهذه الأمور من قبل.»

عبست وهي تلمس حقيقة هذا الأمر. ربما لم يكن احتجاجها بأن السبب هو أنه لم يسبق أن ناقشها بمثل هذه الأمور من قبل، ربما لم يكن صحيحاً تماماً. وعادت بتفكيرها إلى الماضي متأملة. أما كان من الممكن أن لا يسجن جوردان نفسه في مكتبه وحيداً، بهذا الشكل، لو أنها حاولت أن تستمع إلى مشكلاته في عمله، وتناقشه فيها؟ لقد فعل راف هذا عندما منحته هذه الفرصة، مع أن علاقتها بجوردان هي أقوى كثيراً من علاقتها براف.

وضعت يدها على يده الكبيرة التي أراحها على المائدة، وهي تقول: «إنني آسفة لذلك. ولكن هلا ساعدتني الآن؟»

نظر إليها متفرساً وكأنما كان هذا آخر شيء توقعه منها. وربما كان هذا فعلاً. وابتدأت هي تتساءل عن مدى أنانيتها طيلة السنوات الماضية. أما هو، فقد تعجب للسبب في ذلك التغير الذي حدث لها...

وسحب جوردان نفساً عميقاً وهو يقول: «إذا كان ما تتحدثين عنه هو منزل كوينلان، دعينا نعتبر نظرياً، أنه هو نفسه...» قال جملته الأخيرة بجفاء وهو يرى العناد يكسو ملامحها. لقد سبق وائتمنها راف على هذا السر ويجب عليها عدم افشائه الآن.

ولكن المشكلة هي أنها، إذا شاءت أن تساعد راف، فعليها أن تناقش هذا الأمر مع جوردان، ذلك أن معرفته

بهذه الأمور هي أكثر من معرفة راف أو معرفتها هي.

كان جوردان يتابع حديثه قائلاً: «... حجم البناء والأراضي التي حولها. المكان بالضبط، أي أن يكون قريباً من لندن، وعلى هذا الأساس، أظن المشروع قابلاً تماماً للنجاح إذا توفر له التمويل الكافي.»

كانت جين مسرورة تماماً لهذا الجواب. إذ أن ثقتها بجوردان كانت كبيرة، فإذا هو ظن أن هذه المغامرة ستنجح، فإنها ستنجح حتماً.

وتابع جوردان يقول بخشونة: «ما دمت لن تطلعيني على هذا الموضوع اكثر من ذلك، فالأفضل أن نعود إلى موضوعنا الأول.»

فقالت وهي تسحب يدها عن يده، فقد كانت تعرف عناده: «أي موضوع؟»

أشار إلى النادل الذي جاء إليهما لتلقي الأوامر، بالإبتعاد ربما للمرة الثالثة، وفكرت هي أن هذه الطريقة، إذا هي استمرت، فإنهما لن يأكلا شيئاً على الإطلاق.

قال لها: «ما الذي تظنين نفسك تقومين به، لكي تبتعدي بهذه الصورة؟» كان صوته عنيفاً ولهجته تنذر بالخطر.

أجابت: «لقد اخبرتني بأن عليّ أن أجد عملاً لإثبات مقدرتي على هذا، وذلك قبل أن أبلغ الواحدة والعشرين، وإلا فليس أمامك إلا أن تبلغ الموكلين بتنفيذ وصية أبي أن لا يسلموني إرثي قبل بلوغي سن الخامسة والعشرين.»

قال: «ما كان لك أن ترحلي بهذا الشكل بمجرد أن أبلغتك بوصية أبيك هذه.»

فهزت كتفيها قائلة: «ظننت أن هذا ما ينبغي عليّ عمله.»

فقال بحدة: «كان عليك أن تبلغيني بمكان إقامتك وكيفيتها.»

فقالت: «ولكنني فعلت.»

فقال: «كان ذلك بعد أسبوع من اختفائك، لم اكن اعتقد إلا أنك قد تكونين مخطوفة.»

ابتسمت جين وهي تتذكر أنها ظنت هي نفسها ذلك عندما أخذها راف بسيارته بكل غطرسة، وأنها تساءلت عما إذا كان جوردان يدفع فديتها فيما لو حدث هذا.

لم يدرك جوردان الداعي لابتسامتها هذه، فقال بغضب: «هذا ليس مضحكاً، خصوصاً عندما تفكرين في من تكونين.»

من تكون؟ لقد كادت تنسى ذلك في الأسابيع الماضية. آه، نعم، إنها ريا - جين سمرفيل سمايث.

وكأنما لم يكفها مصيبتها باسم اسرتها المزدوج السخيف، حتى زاد أبوها مصيبة أخرى تثقل كاهلها، وذلك عندما أطلق عليها اسماً مزدوجاً وعاد يذكرها قائلاً: «وأنك وارثة لثروة معتبرة.»

آه، نعم. إنها كذلك أيضاً.

هذا إذا استطاعت أن تثبت قبل بلوغها سن الواحدة والعشرين، أنها أهل لمثل هذا الإرث...

عاد يقول بعنف: «وبالطبع لم تنسي أنك أختي.»

آه، نعم. إنها كذلك أيضاً.

www.elromancia.com

الفصل السابع

قالت جين لأخيها بجفاء: «إنني كما تعرف لا أستعمل اسمي الكامل.»

فقال باشمئزاز: «جين سميث.»

حدقت فيه قائلة: «كان عليك أن تجرب طلب عمل مهما كان نوعه باسم كهذا. ريا ـ جين سمرفيل سمايث، فهو ليس صعباً فقط، ولكنه مستحيل. ولو لم تكن وصية أبي...»

«لقد سبق وأخبرتك أنني غير مسؤول عن وصية الأب، فيما عدا أن أرى ما يتعلق بتنفيذ شروطه. وهو سيستاء جداً لو علم بأن تلك الفقرة من وصيته قد نتج عنها هذا.»

هزت ريا ـ جين كتفيها قائلة: «إنه لم يترك لي خياراً آخر. انه لم يفعل ذلك أبداً من قبل، أليس كذلك؟»

تنهد هو قائلاً: «لقد كنت سيدة صغيرة متمردة.»

فأجابت تدافع عن نفسها: «وهو أيضاً لم ينسَ قط أنني، بولادتي، تسببت بوفاة والدتي.»

رقّت ملامح جوردان القاسية قليلاً وهو يقول: «إن هذه هي طباعه يا ريا.» وكان يدعوها بالقسم الأول من اسمها بعطف كما يفعل أغلب معارفها المقرّبون، وتابع قائلاً: «لقد كان عليّ أنا أيضاً أن أثبت أنني أستحق أن أحمل اسمه.»

ولكن هذا لم يملأه مرارة كما حدث معها هي، ولكن ربما هذا قد حدث فعلاً إذ من الصعب معرفة ما يفكر به جوردان، فهو يفوق في ذلك، راف نفسه، كما أنه لا يأتمن أحداً على

أسراره، فهو يتحدث مع ريا كما يتحدث مع أي انسان آخر. وهي لم تفكر في ذلك من قبل، ولكن ربما كان هذا نتيجة شخصية أبيهما تلك.

نظر إليها جوردان بعطف قائلاً: «ولكنني كنت محظوظاً إذ كان لي أم تمتعت بحنانها المطلق إلى أن بلغت الثامنة من عمري.»

فابتسمت ريا ـ جين بحسرة وهي تقول: «كم أتمنى لو أنني عرفتها.» وقطبت جبينها وقد تذكرت عدة أحاديث دارت مؤخراً سببت لها ازعاجاً، أحاديث لم تستطع هي التأكد من أنها كانت حقاً تدور حول أمها. وقالت: «لقد كانت مربية قبل أن تتزوج أبانا، أليس كذلك؟»

اجاب محذراً: «ريا... إنك حتماً تحاولين تحويل الحديث عن نفسك فنحن لم نتحدث عن الأب والأم منذ سنوات.»

فقالت: «ولكنني لم أعرف أمي قط...»

فقاطعها بفروغ صبر: «لقد مضى على وفاتها قرابة الإحدى وعشرين سنة، فأنا نفسي لا أكاد أتذكرها.»

أصرت قائلة: «ولكن هل تعرف ما إذا كانت قد اشتغلت في منزل أسرة كوينلان؟»

«أسرة كوينلان؟ وما الذي جعلها تعمل عندهم؟»

هزت كتفيها قائلة بضيق: «كل ما في الأمر أنه يبدو أنني ذكرت عدة أشخاص من الأسرة بامرأة كانوا يعرفونها. وقد ذكرت واحدة منهم اسم مربية راف وهي ديانا.»

كانت مدفوعة بالشك في هذا الأمر، إلى أن تتحقق ما إذا كانت مربية راف هي أمها فعلاً. ولا شك أن الموقف سيكون

غريباً جداً لو تبين راف أن أمها هي التي كان أبوه قد تورط معها فعلاً، وقد لا يصدق أنها هي لم يسبق لها معرفة تلك العلاقة من قبل، فهو يحكم على النساء جميعاً بعدم الثقة بهن.

قال جوردان ساخراً: «هذه سخافة، وما الذي يجعل ديانا تلك، أمنا؟»

نعم، لماذا؟ ولكن الشك لم يكن ليدعها ترتاح قبل أن تعرف الحقيقة كاملة عن هذا الموضوع، ولكنها لم تظن أن جوردان سيرحب بأي رأي منها في أن أمهما ربما كان لها علاقة مع والد راف، دونالد كوينلان خصوصاً، وان ذلك الرجل كان متزوجاً في ذلك الوقت. ذلك أن جوردان كان يحترم ذكرى أمهما.

وأخيراً قالت ريا ـ جين لأخيها: «لا أظن ذلك الموضوع مهماً. فقد ذكرته فقط في مجرى الحديث. المهم هو أنك تظن أن مشروع المجمع الترفيهي ذاك قد ينجح...»

فأجاب جوردان بحزم: «لقد قلت إن له حظاً كبيراً من النجاح إذا حصل له التمويل المناسب. إنما أنا بحاجة إلى أن أعرف الكثير عنه قبل أن أعطي رأيي بالكامل.»

فقالت: «إنني أطبع الآن تقريراً عنه لراف... ما الذي يضحكك؟» سألته هذا بعد أن رأته يبتسم.

قال ساخراً: «إذن، فقد ابتدأت مدرستك النهائية تلك تعطي ثمارها، كم تبلغ سرعتك في الطباعة؟»

أجابت: «وهل في هذا ما يضحك؟ لا تقلق فلن أزاحم سكرتيرتك غليندا في عملها.»

فقال: «وأنا لن أوظفك عندي على كل حال، فأنا لا أحب

التعامل مع الأقارب. ولكن يهمني جداً أن أرى نسخة من ذلك التقرير.» قال ذلك وهو ينظر إليها بثبات.

فتأوهت قائلة: «إنه تقرير سرّي جداً...»

فقال: «ولكنك كنت قد أخبرتني أكثر التفاصيل الموجودة فيه، فلا بأس إذا جعلتني ألقي نظرة على الباقي.»

فقالت مترددة: «حسناً...»

فقال: «إنني أعدك أن لا يخرج الموضوع عن مجرد هذا الإطلاع.» وعندما قال جوردان هذا وافقت. فقد كانت تعلم أن جوردان لا يرجع في كلامه أبداً.

«سأنهي طباعته عندما أعود اليوم بعد الظهر، وسأحاول أن أصنع نسخة منه وأرسلها إليك في البريد.»

تأملها برهة، ثم قال: «يبدو عليك الاهتمام الشديد بأن ينجح مشروع راف كوينلان هذا؟»

أجابت وقد توردت وجنتاها: «أعطني فقط رأيك في الموضوع، ولا تحاول استنتاج شيء من لا شيء.»

قال بلهجة ذات معنى: «وهل هذا لا شيء؟»

دفعت رأسها إلى الخلف قائلة: «نعم.»

ولكنها كانت تعلم أن هذا غير صحيح. لقد كانت تعلم دون أدنى شك، أنها على وشك الوقوع في حب راف.

قال راف بخشونة وقد ضاقت عيناه: «أين ذهبت يوم أمس بالضبط؟ أم ان الضجر قد تملكك فقط من هذه الصحبة حالياً، فشعرت بالميل إلى رؤية صديقك الثري مرة أخرى؟»

لقد كان تواقاً إلى توجيه هذا الاتهام إليها منذ اللحظة التي طلبت منه فيها يوم عطلة، طبعاً كان باستطاعتها أن تخبره أن جوردان هو أخوها الأكبر، ولكنها إذا هي فعلت

ذلك فإن عليها أن تخبره بكل شيء، وفي هذه الحالة فهي متأكدة من أنه سيطلب منها الرحيل، سواء حققت شرط أبيها في الوصية أم لا.

ثم كيف باستطاعتها أن تساعد راف لو أنها أرغمت على الرحيل؟ فقد كانت متأكدة وهي ترسل التقرير إلى جوردان مساء أمس أنه عندما يقرأه سيكون باستطاعتها أن تقدم إلى راف النصيحة النهائية بشأن تحويل المقاطعة إلى مجمع ترفيهي دون أن توضح له بأن هذه النصيحة هي أصلاً من جوردان.

كانت أسرتها معروفة جيداً في المدينة، فقد كان جوردان أكثر نجاحاً مما كان عليه والدهما. وكانت أعمالهم مشهورة بالحذق والدهاء، لقد كانت أسرة سمرفيل سمايث من الأسر القديمة وكان جوردان رأس تلك الأسرة، محترماً جداً، وكان يستشيط غضباً إذا هو علم أن هناك من يدعوه بالصديق الغني لأية امرأة كانت، بتلك الطريقة المهينة. وإذا كان ثمة أية امرأة في حياة جوردان فهو عادة متحفظ جداً في هذا.

شعرت ريا ـ جين بأن مزاج راف لم يكن طبيعياً عندما قابلته لتخرج معه، ولكنه لم يقل شيئاً أثناء الطريق إلى المطعم الريفي، ولا أثناء النظر في قائمة الطعام إذ يختاران ما يأكلان. وكان حديثه معها في غاية التهذيب.

ولكن ما ان جلسا في انتظار حضور الطعام حتى انفجر فيها بهذا السؤال.

كانت ما تزال شاردة الذهن إثر مقابلتها تلك لجوردان، فقد أراد شقيقها أن يعرف كل شيء عن وظيفتها تلك قبل أن

يدعها تذهب، وكانت تحيته لها عند تركها له، إلى اللقاء يا جين سميث، توحي بأنه سيبقى مراقباً لها في المستقبل، وانه لا يفكر في ما تحاول هي عمله الآن، ولكنه ينوي ذلك فيما لو رأى ذلك ضرورياً في المستقبل.

أجابت راف على سؤاله بهدوء تام: «لقد أمضيت وقتاً طيباً تماماً.»

فقال وهو ينظر إليها بعينين ضيقتين: «لقد أخبرتني السيدة هوارد أنك سبق وتلقيت مخابرة هاتفية قبل أن تطلبي يوم عطلة لكي تذهبي إلى لندن.»

لم تدهش وهي تعلم أن مدبرة المنزل قد أخبرت راف عن تلك المخابرة، إذ ربما كان على تلك المرأة أن تقوم بذلك، وبما أن جين لم تكن سوى مستخدمة في منزل راف ولأنهما لا يعرفان عنها سوى القليل، فقد بدا هذا الهاتف لتلك السيدة، شيئاً يدعو إلى الاهتمام، ومع هذا فقد كانت الأمور ستسير بشكل أفضل لو لم يكن راف قد علم بتلك المخابرة.

ولكن، متى كانت الحياة تسير بيسر بالنسبة إليها؟

أجابته: «نعم، لقد تلقيت مخابرة.»

قال بحدة: «هل هي من الرجل الذي كنت قد هربت منه؟»

احمر وجهها، وأجابت: «إنني لم أهرب منه.»

فقال: «لا بأس. إنه الرجل الذي تركته فجأة غير راغبة في المكوث معه، مفضلة الإقامة في الفندق حيث لم يكن لديك مسكن آخر. وكل التعليلات تقود إلى نفس المعنى. لقد تركت ذلك الرجل ولكن ما أن تلقيت منه مخابرة، حتى هرعت إلى لندن لرؤيته.»

قالت: «لقد كان لدي سبب هام لرؤيته.»

www.elromancia.com

لوى فمه قائلاً: «إنني متأكد من هذا.»

ارتسمت على شفتيها ابتسامة باهتة وهي تقول: «حذار يا راف. لقد ابتدأت تدينني ظلماً.» وأخذت جرعة من الماء وهي تتابع: «في الحقيقة، كنت أريد أن أتحدث إليه عنك.» ولم تشأ أن تذكر اسم أخيها إذ كانت متأكدة من أن راف باستطاعته أن يقوم بكافة الاستعلامات عنه، ومن ثم يعلم كل شيء عنها، وبالتالي، يلقي بها خارج منزله.

فنظر إليها بارتياب وهو يسألها: «عني؟ هل تحدثتما عني أنا؟»

فأجابته: «إنني لم أذكر اسمك.» وكانت صادقة في كلامها، ذلك أن جوردان هو الذي ذكر اسم راف أثناء حديثهما ذاك.

انفجر فيها قائلاً: «وما الذي يدعوكما إلى ذكر اسمي؟ إنني لا أحب أن تتحدثي عني مع أصدقائك.»

وتضمنت جملته الأخيرة معنى الإهانة.

فقالت: «إنني لم أتحدث عنك. لقد جاء اسمك في عرض الحديث.» وتعمدت أن تضمن كلماتها، هي أيضاً معنى الإهانة.

توترت ملامحه وهو يسأل: «وبأية صفة؟»

فأجابت: «بصفتك مخدومي طبعاً. وهل ثمة صفة أخرى؟» لقد نفت من ذهنها الآن أية محاولة لذكر ما تحدثا، هي وجوردان بشأنه بالنسبة إلى راف.

فعاد يسأل بصوت هادىء: «ما الذي تحدثتما عنه بالضبط، بشأني.»

لو انها حدثته بما تحدثت به إلى جوردان بالضبط لثار

عليها حتماً مهما كانت نيتها حسنة في ذلك، ونظرة واحدة إليه جعلتها تتأكد من عبث محاولتها إقناعه بأن جوردان سيتوخى الحذر التام من هذه الناحية. لقد بدا لها من منظر راف أنه لن يصدق مطلقاً أنها إنما كانت تبغي مساعدته في تصرفها ذاك.

قالت له وعيناها تتهربان من نظراته إذ كانت تكره الكذب: «لقد أخبرته فقط أنك مخدومي.»

فسألها: «ولأي سبب أخبرته بذلك؟ ولماذا تحدثتما عني أصلاً؟»

تنهدت بضجر ثم قالت: «أظن من الأفضل أن ننسى مسألة العشاء هذه، ونعود إلى البيت الآن.»

نظر إليها بحدّة ثم قال بشيء من الدهشة: «هل أنت جادة في كلامك؟»

فردت عليه بفروغ صبر: «إنني جادة طبعاً، وأنا أيضاً لم أستمتع بالغداء يوم أمس.» ذلك أنها في ذلك الوقت عندما حضر الطعام أخيراً، لم تشعر بشهية نحو الطعام، ولم تأكل سوى قليل من السلطة وها هي الآن تجد شهيتها قد تلاشت مرة أخرى بعد هذا الحديث. وتابعت تقول: «ولهذا أريد أن أستمتع بعشائي، وهذا لا يكون إلا إذا عدت إلى البيت وتناولته هناك.»

بان في عينيه التهكم وهو يقول: «ألا تريدين أن تستمتعي بشرائح اللحمة الذي سبق وطلبته الآن؟»

فأجابت ساخرة: «نعم أريد هذا إذا سمحت لي أنت بذلك.»

قال: «وأنا أيضاً جائع، ما رأيك بهدنة؟» ولم تكلف نفسها العناء في أن توضح له أن إقامة هدنة بينهما تعني

www.elromancia.com

أنهما في حالة حرب، بينما هي لا تنوي محاربة أيّ كان هذا المساء. إنها تعرف الآن أن النيّات لا دخل لها بالأعمال، بالنسبة لهذا الرجل.

وهزت كتفيها قائلة وهي تنظر إليه محذرة: «فلتكن هدنة ما دامت تسمح لي بأن أتناول عشائي بسلام.»

فقال باسماً: «وهو كذلك.»

في الواقع، لقد تغيّر الحال بينهما بشكل لم تتوقعه. فقد توقعت بعد الغضب الذي صدر عن راف منذ دقائق، أن يبقى ملاحقاً موضوع تناولها ذلك الغداء مع ذلك الصديق الذي لا يعرف اسمه، وذلك إلى ان يحصل على الجواب الذي يطلبه.

ولكن، من الأفضل أن لا يعلم راف وجوردان، كل عن الآخر، شيئاً.

ولكن من الغريب أنها كانت واثقة من أن الرجلين رغم الاختلاف بينهما، كانا على الأقل سيتبادلان الاحترام لو أنهما تعارفا.

ولكنها كانت تشك كثيراً في أن التعارف قد يحدث بينهما إذ انها ستصبح بعد عشرة أسابيع مجرد ذكرى لا تسر في ذاكرة راف.

ومع هذا، فقد أمضيا سهرة بهيجة. كان الطعام لذيذاً والحديث طيباً، إذ بدا وكأنهما هما الاثنين، قد حاولا أن ينقيا الجو من أي موضوع قد يثير أعصابهما مرة أخرى، وهذا جعل المواضيع التي تحدثا عنها محدودة طبعاً ولكنها على الأقل، لم تكن تثير أي جدل آخر.

سألته وهما عائدان في السيارة إلى المنزل: «ما الذي علي أن أقوله للسيدة هوارد بشأن خروجنا للعشاء هذه الليلة؟»

كانت ريا ـ جين قد تركت الأمر لراف ليخبر مدبرة منزله بعدم تناولهما، هما الاثنين، طعام العشاء في المنزل. ولكنها كانت تعلم أنها لن تستطيع التخلص من فضول تلك المرأة صباح الغد عندما تتناولان القهوة معاً في المطبخ كالعادة.

نظر راف إليها وهو يجلس وراء عجلة القيادة ثم قال: «ربما من الأفضل أن نخبرها أنني دعوتك إلى العشاء الليلة، لأنني لم أعد أستطيع أن أبقى بعيداً عنك.»

فقالت بحدة وقد ساءتها سخريته: «هذا غير صحيح.»

رفع حاجبيه قائلاً: «ولكن المساء لم ينته بعد.» فضحكت بصوت خافت، ولكن ضحكتها هذه تلاشت عندما بقي الجد على وجهه وهو ينظر في عينيها بصمت عدة ثوان، قبل أن يعود فيحوّل انتباهه إلى الطريق.

وفجأة شحن جوّ السيارة بالتوتر. وبقيا صامتين إلى أن وصلا إلى المنزل الذي كان غارقاً في الظلام إلا من ضوء واحد فوق الباب الخارجي، وآخر في الممر الذي يقود إلى الردهة. ومن الواضح ان السيدة هوارد قد انسحبت إلى غرفتها.

رفض راف عرض ريا ـ جين في أن تصنع قهوة لهما هما الاثنين.

ولم تعرف ما الذي عليها أن تفعله الآن، هل عليها أن تصعد إلى غرفتها؟

قال راف: «فلنذهب إلى غرفة الجلوس لعدة دقائق.» وكان في هذا، الحلّ لحيرتها تلك، ثم تقدمها داخلاً إلى الغرفة حيث أنار المصباح القائم في الزاوية مما غمر الجو بضوء دافىء.

www.elromancia.com

رمقته بشيء من التوجّس... ربما ما كان لها أن تكون بمفردها معه بهذا الشكل...

اخترق الصمت بقوله: «لقد استمتعت حقاً بهذه الليلة.»

فقالت مازحة: «ولماذا تبدو عليك الدهشة لهذا؟» ذلك أن لهجته كانت توحي بأن الاستمتاع بصحبتها هو شيء غير متوقع. صحيح أنهما اصطدما في البداية ولكن الصفاء ما لبث أن عاد بينهما وسارت الأمور بيسر.

جلس على الأريكة بجانبها ثم سألها: «هل يمكنك أن تخمّني كم من الزمن مضى عليّ دون أن أستمتع بصحبة امرأة؟»

خمّنت هي أن ذلك لا بد وأن يكون وقتاً طويلاً وذلك استنتاجاً من عدم ثقته بالنساء، مع أنه لا بد أنه سبق وأمضى أوقاتاً سعيدة مع زوجته.

أضاف بصوت أجش: «من جميع النواحي.»

ازدردت ريقها بصعوبة، فهي لم تكن تريد أن تسمع هذا. ذلك أن تصوره مع امرأة أخرى من جميع النواحي جعلها تشعر فجأة بما يشبه المرض، واعتراها شعور بالكراهية نحو كل امرأة كان لها دور في حياته.

ولشد ما شعرت بالخوف وهي تدرك أن هذه هي الغيرة.

وأخذ يتخلل شعرها بأصابعه وهو يحدق فيه مفتوناً، ويقول: «لماذا أراك جذابة إلى هذا الحد؟ أتمنى لو أنني أعرف عنك كل شيء.» ونطق بالجملة الأخيرة وقد أظلم وجهه.

فقالت: «ولكنك لا تحب حتى هذا القليل الذي تعرفه عني.» لقد سبق ونجحت في تجنب السقوط في شرك

الإفصاح عن حقيقتها هذه الليلة، وهي لا تريد أن تفشل في ذلك الآن.

فقال وقد اشتدت أصابعه على شعرها: «إنني لم أقل هذا أبداً.»

قالت ساخرة: «قد تدفع الرغبة إلى زلة اللسان.»

فتوترت شفتاه وهو يقول: «أتمنى لو كانت الرغبة فقط هي ما أتحدث عنه.»

قطبت جبينها وهي تمعن النظر في وجهه، ثم قالت: «ماذا تعني؟»

هز رأسه وهو يمسك بيدها.

لقد كان هذا ما كان يعنيه بقوله ذاك، كان يعني هذا التجاذب السريع الذي لم يكن ليستطيع أيّ منهما مقاومته.

نظر إليها قائلاً: «أنا أريدك يا جين.»

فنظرت إليه ذاهلة... هل تراها كانت غبية إلى حد أنه لم يخطر لها مطلقاً نوايا راف تجاهها؟

وماذا سيقول إذا هو علم أنها دون أية تجارب وليست تلك الفتاة العابثة ذات الأصدقاء الأثرياء كما يظنها، وأن كل اتهاماته لأخلاقها كانت خاطئة.

ولكن راف... هل هي تحبه؟

آه، نعم...

وهمس هو: «جين؟»

نظرت إليه بذهول. إنها تحب هذا الرجل. إنها تحب راف كوينلان.

تابع يقول: «جين، إنني...»

قطع حديثه نقر على الباب، فانتصب على قدميه بسرعة

ووقف أمام جين، وذلك في الوقت الذي دخلت فيه السيدة هوارد.

بادرها بحدة: «نعم؟»

شعرت جين بالأسى نحو هذه المرأة التي ما تفتأ تقاطعهما.

ولكن مقاطعتها لهما كانت من محاسن الصدف، لأنها كانت على وشك الاعتراف بحبها لهذا الرجل.

وبدا الاضطراب على المرأة المسكينة وهي تقول: «سمعتك تدخل، فظننت أنك قد تريد شيئاً من القهوة.»

استدارت ريا ـ جين وهي تبتسم لها وتقول مشجعة: «إنها فكرة حسنة.»

واستدارت المرأة لتخرج شاكرة، ولكنها ترددت عند الباب ثم التفتت إلى راف قائلة: «إن هناك مخابرتين هاتفيتين لك جاءتا في غيابك. وقد تركت الأرقام لك على المكتب لكي يمكنك الرد عليهما. وثمة رجل قد أصرّ على الكلام معك، نوعاً ما، ولكنه لم يقبل بأن يترك اسمه.»

وبدا على ملامح راف وكأن الحديث عن العمل هو آخر ما كان يريده في هذه اللحظة.

ولكن ريا ـ جين كانت بحاجة إلى بعض الوقت تستجمع فيه أفكارها. فقالت تخاطب مدبرة المنزل متعمدة تجنب نظرات راف: «سآتي وأساعدك في عمل القهوة، أثناء ردّ راف على مخابراته.» ثم تبعت المرأة خارجة من الغرفة.

احتجت المرأة قائلة: «لا حاجة بك إلى ذلك.»

ولكن، كما فكرت جين، ثمة حاجة لذلك هذا إذا هي شاءت أن تنتهي هذه الأمسية بالحشمة. هذا إلى أن عليها أن

توضح بعض الأمور لهذه السيدة، ذلك أنها بعد أن كانت تصرّ على أنها مجرد مستخدمة فقط في هذا المكان، إذا بها تخرج الآن إلى العشاء مع مخدومها!

وابتسمت لها قائلة وهي تتبعها إلى المطبخ: «إنني أحب المساعدة.»

كان الاضطراب ما يزال يبدو على المرأة وهي تجهّز الصينية، بينما أخذت جين تغلي الماء، وانفجرت المرأة أخيراً قائلة: «في الحقيقة، لم أكن أقصد التطفل.» وكان يبدو عليها عدم الارتياح لهذا الوضع كله.

لمست جين ذراعها تطمئنها قائلة: «إنك لم تتطفلي، فقد كنا أنا وراف نتحدث في شؤون العمل فقط.» ولا بأس في هذه الكذبة التي قد تنقذ المرأة المسكينة من ارتباكها هذا.

قالت المرأة: «لا أدري... ولكن راف كان يبدو عليه الانزعاج و... راف؟» واستقرت نظراتها الذاهلة فوق كتف ريا ـ جين الأيسر وهي تشهق قائلة: «ما الذي جرى؟»

وسرعان ما استدارت ريا ـ جين على عقبيها لترى راف متوجهاً نحوها بوجه كالعاصفة وهو يهدر قائلاً: «أريد أن أتكلم إليك على انفراد يا جين، الآن.»

وقالت المرأة: «في الحقيقة يا راف...»

فقاطعتها ريا ـ جين تطمئنها: «لا بأس يا سيدة هوارد.» ثم خرجت من المطبخ وعيناها لا تفارقان وجه راف الغاضب الشاحب، مع أنها هي نفسها لم تكن تشعر بأيّ اطمئنان وهي تتبع راف إلى مكتبه. ما الذي تراها فعلت؟ وكيف له أن ينقلب إلى هذا الحال في مثل هذه المدة القصيرة؟

جلس على مقدمة مكتبه، بينما كانت هي تغلق الباب

خلفهما. وأخذ يرمقها صامتاً لعدة ثوان طويلة مشحونة بالتوتر. ووقفت ريا ـ جين والعرق يسيل على جبينها شاعرة بالثورة التي كانت تغلي في داخله.

ما الذي حدث؟ هل تراه علم بشخصيتها الحقيقية، وهو الآن يريد منها أن توضح له الأمر؟

وجذبت نفساً عميقاً وهي تقول: «راف...»

قال أخيراً بصوت خافت يتجلى الشر في لهجته: «صديقك الغنيّ الذي قابلته أمس... هل هو جوردان سمرفيل سمايث؟» وضاقت عيناه وهو يمعن فيها النظر.

وشحب وجهها كيف أمكنه أن...؟

وعاد يقول: «يبدو لي من وجهك أن هذا صحيح.»

سكت وقد بدا على وجهه الاحتقار، ثم تابع وهو يلوي شفتيه مشمئزاً: «حيث أنك موظفة عندي فقد ائتمنتك على أسرار عملي.» كان يتهمها بغضب وقد مال بجسده إلى الأمام وتقبضت يداه.

عرفت أنه قد علم بكشفها ما يتعلق بتحويل أملاكه إلى مجمّع ترفيهي لجوردان! ولكن كيف؟ وسرعان ما أدركت وهي تشعر بالغثيان أنه علم بذلك من جوردان نفسه. إنه هو نفسه الذي اتصل هذا المساء براف ولم يقبل بأن يترك اسمه.

ولكنه أفصح الآن عن اسمه!

لقد قرأ التقرير الذي أرسلته هي إليه، فلم يضيّع الوقت بأن يتصل بها هي أولاً وفضّل أن يتصل براف مباشرة...

آه منك... يا جوردان.

الفصل الثامن

بللت جين شفتيها الجافتين، وهي تدرك أنها في مشكلة خطيرة هذه المرة، وكانت تشعر بالحرارة والبرودة في نفس الوقت، وقالت: «راف...»

فضرب المائدة بقبضته وهو يقول بعنف: «لقد ائتمنتك، لقد وثقت بك، ولكنك اغتنمت أول فرصة لكي تسرعي وتخبري صديقك بكل التفاصيل.»

فابتدأت تقول: «إنني...»

فقال ببرود: «إياك أن تنكري ذلك. فأنا أعلم أنه ليس ثمة سواك من أخبره بذلك، لأن التقرير الذي أرسلته أنا للبنك لم يصلهم بعد.»

كانت تعرف أن هذا صحيح، وتعرف أيضاً أن راف سيطردها حتماً بعد هذا.

تابع يقول وكأنه لا يصدق ما حدث: «لقد اتصل بي بكل جرأة، ليعرض عليّ التعاون معه.»

إن هذه هي تصرفات جوردان، فهو قد اتصل براف بالنسبة للعمل فقط، إنما دون أن يبوح باسمها ولا بالصلة التي تربطها به. ومع هذا، كان بودها لو تشنقه، في هذه اللحظة وبكل سرور وإن يكن من غير الممكن أن يتصور مقدار الدمار الذي قد يتسبب به عمله هذا، ثم يقوم به. كانت تعرف عنه هذا، فقد كان جوردان رجل أعمال على الدوام. ومن الواضح أنه أدرك أن المجمع الترفيهي هو مشروع

عملي ناجح. وهذا كل ما في الأمر. ونظرت إلى راف بفضول وهي تقول: «وماذا كان جوابك؟»

فأجاب بغضب: «ماذا كان..؟ جين. لقد أفشيت سراً.»

قالت: «لقد فعلت ذلك بنية طيبة. إن جوردان هو رجل أعمال ممتاز.»

فقاطعها ببرود: «إنني أعرف تماماً من هو.»

وهزت كتفيها قائلة: «إذن فلا بد أنك تعلم مقدار حظ المشروع من النجاح. ولم يكن لدي فكرة عن أنه سيهتم بالأمر إلى حد الاشتراك فيه بنفسه.»

ومع أنه كان من الممكن أن تقوم هي بهذا، إلا أن جوردان كان أولاً، وقبل كل شيء، رجل أعمال، وقطبت جبينها قائلة: «وبماذا أخبرته؟»

فنظر إليها وقال ببرود الثلج: «إنه قادم إلى هنا غداً لنتحدث في الأمر.» تلفظ راف بهذه الكلمات وكأنه كان يتمنى لو علمت انه قال له أن يتركه وشأنه، ولكن، من حسن الحظ الذي جعل عنده من العقل ما منعه من ذلك.

كان ثمة شيء واحد يشغل ذهن ريا ـ جين في تلك اللحظة. وهو أن جوردان قادم إلى هنا. ليس بصفته اخاها، وإنما بصفته شريك أعمال منتظر لراف، كما يبدو.

سألها بلهجة متوترة: «هل هو نفس الرجل، يا جين؟»

فنظرت إليه بذهول قائلة: «نفس ماذا؟»

فأجاب بخشونة: «الرجل الذي كنت هاربة منه تلك الليلة؟»

فتوهجت وجنتاها وهي تقول: «إنني لم أكن هاربة منه.» مع أنها كانت تعلم أن هذا غير بعيد عن الحقيقة. فقد كانت تحاول أن تنجو من الحياة التي كانت تعيشها مع

جوردان، ولو أنها لم تكن تدرك هذا في ذلك الحين.

لاحظ حيرتها تلك، فقال متهماً: «لعلك كنت هاربة إليه، إذن؟»

فلمع الغضب في عينيها وقالت: «وكذلك لم أكن هاربة إليه.»

فقال: «ولكنك كنت تعيشين معه.»

فتنهدت لإصراره هذا وقالت: «نعم، ولكن ليس...»

فقاطعها وقد ضاقت عيناه ووضع يديه في جيبي بنطاله: «ألا يعرف هو عنا شيئاً؟»

فقالت بذهول: «عنا...؟ راف...»

«لا أظن جوردان سمرفيل سمايث رجلاً تتحكم به مشاعره. لهذا اتوقع أن يكون اجتماعنا غداً ذا طبيعة عملية خالصة. وإذا كان ثمة شيء يقوله الواحد منكما للآخر، فإنني أفضل أن يكون ذلك ضمن وقتكما وليس ضمن وقتي أنا.»

نظرت هي إليه بتمعن. هل تراه يعني بهذا أنه لن يطردها فوراً من العمل كما كانت تتوقع؟ كان على صواب بالنسبة إلى جوردان، فإن هذا الأخير، بالتأكيد، ليس ممن تتحكم بهم مشاعرهم. فإذا ظن أن المجمع الترفيهي هو مشروع جيد، فهو كذلك فعلاً. وشعرت بسعادة لأجل راف، لا حد لها، رغم أن ما حدث لم يكن جيداً بالنسبة إلى وضعها هنا. ولكنها، حسب ما تعرفه عن أخيها، كانت متأكدة من أنه لا يرى في الأمر أية مشكلة. لقد كان يعتبر دوماً حياته العملية وحياته الخاصة، أمرين منفصلين تماماً. فيتصرف على هذا الأساس.

سألته: «في أي وقت تتوقع أن يصل جوردان؟»

فقال بجفاء: «قبل الظهر.»

كان عليها أن تجد مكاناً تختفي فيه عن الأنظار في ذلك الحين، إذ أنها لا تريد أن تزيد في تعقيد الأمور. كما أن أية علاقة كانت تتصور أنها تنمو بينها وبين راف، هي الآن قد انتهت حتماً. ولم تكن بحاجة لأن يخبرها راف ذلك بلسانه، فقد كان بإمكانها أن ترى ذلك في وجهه.

وما كان جوردان ليستطيع معرفة مدى خطأ توقيته لتدخله هذا. ولكن، إذا كان يظن أنه سيمرّر ما حصل عليه دون أن يعلم بالضبط، رأيها فيه، فهو مخطىء.

وسرعان ما استأذنت بالخروج من مكتب راف، تاركة إياه يحدق في أثرها وقد استغرق في متاعبه لتتصل بأخيها على الفور.

وتلقى هذا مخابرتها ليبادرها قائلاً بجفاء: «ما الذي يبقيك هناك؟» وعدت ريا ـ جين إلى العشرة قبل أن تجيب أخاها رغم أن هذا لم يهدىء من غضبها كثيراً. وأخيراً ردت عليه قائلة بتحدٍ: «ماذا تظنه أبقاني هنا؟»

فقال: «ليس عندي فكرة... أهو كوينلان؟»

قالت ساخرة: «لا تتصنع الدهشة، يا جوردان. ما الذي توقعته منه بعد أن اخبرته أنت بمعرفة كل تفاصيل التقرير السري الذي سبق وائتمنني عليه، ثم طلبت منه، بكل برود، الاشتراك في هذا المشروع.»

أجابها على الفور: «إنها طبيعة العمل.» وكان هذا ما توقعته منه. وتمنت لو تستطيع إقناعه إلى أي حد كان بعيداً عن الحساسية. ولكنها كانت تعلم سلفاً، أنها ستضيع وقتها إذا هي حاولت ذلك لأنه لن يفهم.

ربما يكفي أن جعلته يدرك مقدار غضبها لما قام به. وعادت تقول بعناد: «لقد جعلت وضعي هنا صعباً للغاية.»

فأجاب: «إنني لا أستطيع أن أفهم.»

قاطعته بانفعال: «إنني شقيقتك يا جوردان.» وسرعان ما خفضت من صوتها وهي تنظر حولها خشية أن يكون ثمة من سمعها، وهذا ما لم تكن تريده. وكان راف قد اندفع ماراً بها، كالعاصفة منذ دقائق، في طريقه إلى غرفته. كما أن السيدة هوارد لا بد وأن تكون قد أوت إلى غرفتها منذ مدة طويلة، إذ لم تكن تنتظر من راف أن يشرح لها سبب سلوكه هذا.

أجابها جوردان: «إنني مدرك تماماً من أنت يا ريا.»

فقالت بصوت ملؤه الإحباط: «ولكنه هو لا يدرك ذلك.»

قال: «لقد حان الوقت، على كل حال، لانهاء هذه الخدعة. لقد اثبت أنت برهانك، يا ريا، وأنا سأكون سعيداً إذ أرفع تقريراً للموكلين بوصية الوالد، أنصح فيه بالإفراج عن أموالك ودفعها إليك عند بلوغك سن الواحد والعشرين.»

كان عليها أن تشعر، لذلك، بلذة الفوز. فقد كان هذا ما تريد، وهذا ما دفعها للقيام بهذه التمثيلية لأجله، ألا وهو استقلالها، والحصول على الوسائل التي تصنع بها حياتها.

ولكن، عليها الآن أن تترك منزل كوينلان... أن تترك راف...

قالت: «وماذا لو لم أكن مستعدة لإنهاء هذه (الخدعة) كما تقول؟»

كانت تريده أن يفهم الأمر، ولكنها علمت أنها فشلت فشلاً ذريعاً عندما رد عليها قائلاً: «لا تكوني سخيفة، يا ريا.» لقد

فارق الرضى صوت جوردان الآن ليصبح في مثل غطرسة راف تقريباً. وتابع قائلاً: «فأنا لا أقبل أن تكون شقيقتي سكرتيرة لشريكي في العمل.»

كلا، لا يمكن هذا أن يكون بالنسبة إلى كرامة آل سمرفيل سمايث. وقد اعترفت ريا ـ جين لنفسها بذلك، شاعرة بخيبة الأمل.

قالت بجفاء: «ألم يخطر ببالك قط، أنه قد لا يقبل أن يكون شريكاً لك في العمل؟»

فأجاب بصوت مليء بالثقة: «بل سيقبل، هذا إذا كان عنده أي حس عملي.»

ولم تظهر الغطرسة الآن في صوت جوردان، بل تأكيد فقط لثقته بنفسه. ولكنه لم يقابل راف بعد، وبالتالي لا يمكنه أن يعلم تماماً ما قد يقوم به هذا ضده، بعد أن أثار عداءه باتصاله الهاتفي هذا. في المكان الأول، كان من المؤكد أن اجتماعهما سيكون عبارة عن مواجهة بين قوة لا تقاوم، وهدف لا يتزحزح.

وقد يكون الموقف، عند ذاك، مسلياً. فهو سيكون متعذراً بكل تأكيد. وإذا كان هذا لا يمكن اجتنابه، فما الداعي إلى هربها من هذا الاجتماع؟ إنها لن تختفي غداً عن الانظار كما يريدها راف أن تفعل.

وعاد يقول: «ولو انني لست متأكداً من أنه يملك هذا الحس.» وأردف ساخراً: «خاصة وقد وظفك سكرتيرة له.»

فأجابت متهمكة: «هذا مضحك، وسنرى غداً ما سيكون. أليس كذلك؟»

أجاب بدون اهتمام: «والأفضل أن تحزمي امتعتك لكي

تصحبيني غداً بعد انتهاء الاجتماع بيني وبينه.» ثم أقفل بالسماعة.

قطبت جبينها شاعرة بالخيبة وهي ترى انقطاع المكالمة.

لقد تكلم جوردان، لتأتي النتيجة بهذا الشكل. فلا عجب ان راودها التفكير عدة مرات في حياتها بأن تشنق جوردان هذا.

ولكن، مع هذا، فقد يكون معه حق بالنسبة الى حزم امتعتها، وهي متأكدة الآن من أن النوم لن يزور جفنيها هذه الليلة.

شعرت ريا ـ جين، طيلة الصباح، وكأنها تسير على الجمر. ولم تستطع التركيز على العمل.

كانت تشعر بالسيدة هوارد وهي تلقي نحوها بنظرات فضولية، عندما رفضت ان تتناول طعام الفطور، مستعيضة عن ذلك بعدة فناجين من القهوة، وكان من الواضح ان المرأة الأخرى أساءت فهم توتر اعصابها هذا، وارجعته إلى التوتر المفاجيء الذي يبدو انه حدث للعلاقة بين ريا ـ جين وراف. ويا ليت الأمر كان بهذه البساطة.

كانت ريا ـ جين تطل من نافذة غرفة الجلوس عندما شاهدت سيارة جوردان الجاكوار الجديدة الطراز تدخل الى المنزل الساعة العاشرة والخامسة والعشرين بالضبط، وكانت تعلم انه حريص على ان يقود سيارته بنفسه، اذ كان يكره ان يسلم زمام حياته الى احد مهما كان الطريق قصيراً.

شعرت بزهو الأخت بأخيها وهو ينزل من سيارته. كان وسيماً بشكل لا يصدق ومليئاً بالحيوية. وكانت ملابسه غاية في الأناقة.

فقط، لو حاول الاسترخاء قليلاً والتخفيف من نظرته هذه البالغة الجدية الى الحياة، لبلغ الغاية من الجاذبية.

وكان أول ما شعرت به نحوه، هو أن تركض إلى الباب الأمامي وتفتحه له على مصراعيه. ولكن هذا كان سيبدو حتماً غريباً تماماً بالنسبة إلى السيدة هوارد. أما اذا ألقت بنفسها بين ذراعيه، فان هذا لا بد أن يسبب صدمة لها، خاصة وهي تعلم انه قادم لرؤية راف. وكذلك إذا حدث ورأى راف هذا المشهد، فان المقدار الضئيل من السيطرة على أعصابه، والذي ما زال يملكه، هذا المقدار سيتبدّد حتماً، ومن ثم يحدث الانفجار الكامل.

وأمكنها سماع الأصوات في الردهة، لتعلم منها ان السيدة هوارد دعته الى الجلوس، لتتجه هي بعد ذلك، إلى غرفة مكتب راف لتخبره بقدومه.

لقد علمت مدبرة المنزل بأن راف سيستقبل هذا الضيف، عندما لم يتوجه كعادته كل صباح إلى المزرعة رأساً بعد تناول الفطور.

لم تستطع ريا ـ جين المقاومة في أن تجعل جوردان ينتبه الى وجودها في المنزل، وذلك في غياب السيدة هوارد.

لوى جوردان فمه اثناء خروجها من غرفة الجلوس، وهو يقول ببطء مظهراً استحسانه: «انه منزل في غاية الروعة.»

فأومأت برأسها قائلة: «ومن الممكن ان يتحسن عن هذا كثيراً.»

فقال جوردان: «وهذا ما جئت أنا لأجله.»

لم يكن هذا ما قصدت بقولها، بالضبط، ولكنها كانت تعلم أن فكرة راف عن المجمع الترفيهي هو آخر فرصة امامه للاحتفاظ بأملاكه هذه.

وقالت له متوسلة: «جوردان، لم اجد فرصة أخبر فيها راف أنني أختك، بعد، وسأكون شاكرة لك جداً إذا أنت لم تفعل هذا.»

لقد كانت تريد ان تخبر راف بهذا، بنفسها، ولكن في الوقت المناسب. هذا إذا كان ثمة وقت مناسب لذلك.

بدا جوردان متشككاً هو ايضاً، وقال: «لا أظن ان...»

وجاء صوت السيدة هوارد من خلفهما، يقول بلطف: «ان السيد كوينلان في انتظارك يا سيد سمرفيل سمايث.»

التفتت ريا ـ جين إلى المرأة شاعرة بالخجل وهي تتساءل عما تراها سمعت من حديثهما.

وشعرت بالرثاء لهذه المرأة التي لا بد أن كل هذه الأحداث التي حدثت في المنزل، مؤخراً، قد اصابتها بالتشوش والبلبلة... ابتداء بوصول ريا ـ جين، ثم هبوط آل بارنز الفضولي والمفاجيء ذاك، وهذا جوردان الآن. لا بد أن هذه المرأة المسكينة تتساءل الآن عما تراه يحدث في هذا المنزل.

كانت خطة راف في انتظار جوردان في مكتبه بدلاً من أن يخرج لاستقباله بنفسه، هو تكتيك يستعمله، عادة، رجال الأعمال، كما أن جوردان يستعمله بنفسه، إذ هو يخدم، معنوياً، مصلحة المقصود.

قال جوردان لها مازحاً، وهو يتبع السيدة هوارد إلى غرفة المكتب: «سأتحدث اليك فيما بعد.»

www.elromancia.com

شعرت ريا ـ جين أثناء مداولة الرجلين في المكتب، بعدم ارتياح يفوق ما كانت تشعر به عندما كانت في انتظار وصول جوردان.

لقد كان الرجلان من التشابه بحيث قد يقف هذا حائلاً من ان يحب احدهما الآخر، ولكنها كانت تشعر بأنهما لا بد ان يتبادلا الاحترام، هذا إذا لم يعرّض حكم راف الخاطىء على علاقتها المزعومة بجوردان، هذه المقابلة إلى الخطر، وتمنت لو يمنح راف جوردان فرصة لكي...

لم تستطع ان تقاوم، اهتمامها هذا. وكلما طال أمد ذلك الاجتماع اشتد بها القلق، وفي النهاية توجهت نحو المطبخ، آملة ان تجد ما يشغلها عن وجود ذينك الرجلين في مكتب راف.

وعندما رأت السيدة هوارد تجهز صينية القهوة، فكرت ريا ـ جين في ان تتطوع لأخذ القهوة بنفسها إلى الرجلين.

وسألتها السيدة هوارد بلهجة حاولت ان تجعلها عفوية قدر الامكان: «انك تعرفين السيد سمرفيل سمايث، أليس كذلك؟» ولكن الفضول كان ينهشها لكي تعرف بالضبط، ما الذي يجري حولها.

ولكن، لم يكن على ريا ـ جين أن تشرح هذه الأمور لها. فأجابتها على سؤالها قائلة: «نعم. أعرفه من لندن. ولهذا، يسرني أن آخذ لهما الصينية بدلاً منك.»

ومنحتها ابتسامة مشرقة.

نظرت السيدة هوارد اليها تسألها: «هل أضع، اذن فنجاناً ثالثاً؟»

أجابت هذه وهي تتصور ثورة راف اذا هي جلست تتناول

القهوة معهما: «آه، لا ضرورة لذلك. انهما يتحدثان في شؤون عملية.»

بدا الآن فضول المرأة واضحاً. ولكن ريا ـ جين كانت تعلم ان ليس ثمة طريقة تجعل تلك المرأة توجه اليها الأسئلة عن طبيعة تلك الشؤون. ولكنها تركت الأمر لراف ليخبرها فيما لو حدث أي تغيير في هذه الأملاك.

وحسب معرفتها براف، لم يكن هناك ما يضمن قبوله عرض جوردان ذاك لتمويل المشروع هذا.

دقت جين باب المكتب بقدمها حيث انها كانت تحمل بيديها الاثنتين، صينية القهوة، وهو عمل لم تعتده من قبل.

ضاقت عينا راف وهو يفتح الباب ليراها تقف امامه تنوء بحملها. ولم يكن امامه سوى ان يقف جانباً ليسمح لها بالمرور لتضع الصينية على المكتب.

حسناً، كان بامكانه ان يتصرف بشكل مغاير، ولكنه لم يشأ ان يكون فظاً امام شخص ثالث في الغرفة.

سألت باسمة: «هل اسكب القهوة بنفسي؟» ولم تكن تقصد بابتسامتها هذه واحداً منهما بشكل خاص، اذ كانت تعلم انها، اذا هي نظرت الى وجه راف فسترى الثورة في ملامحه، أما اذا نظرت الى وجه جوردان، فسترى التسلية واللهو في عينيه لهذا «التكتيك» الذي تقوم به.

أجاب راف ببرود وهو يغلق الباب: «ولمَ لا؟ انني متأكد من انك تعرفين عادتنا المفضلة، نحن الاثنان، في تناول القهوة.»

واهتزت يدها قليلاً وهي ترفع ابريق القهوة.

فقد شعرت بأن غضب راف وثورته فاقا ماكان عليه أمس بعد أن تحدث مع جوردان على الهاتف.

www.elromancia.com

وأضاف راف بخشونة: «وطبعاً، لا حاجة بي لتقديم الواحد منكما للآخر، أليس كذلك؟»

وبينما التزمت ريا - جين الصمت التام، قال جوردان: «في هذه الحال، يكون الأمر سخيفاً.»

غصت بريقها وهي ترى العرق الذي ينبض بغضب في فك راف المطبق بشدة. ربما ما كان عليها ان تحضر صينية القهوة بنفسها...

واستدارت وهي تقول بسرعة: «سأترككما، أنتما الاثنان، تتحدثان.»

فقال راف معترضاً وقد بان الشر في عينيه كما بدا الريا - جين حين غامرت بالنظر إلى وجهه، لتدير وجهها بسرعة بعد ان اهتزت لملامح العداء التي رأتها: «لقد انتهى حديث العمل، وبقيت مسألتك أنت...»

نظرت اليه بذعر وهي تردد بذهول: «أنا...؟» وحولت نظرها إلى جوردان متسائلة عما قد تراه قاله لراف، ولكن جواب هذا لها كان أن هز كتفيه بحيرة، هو الآخر. فهو لم يكن يعلم عما قصده ذلك الرجل، أكثر مما تعلم هي.

وهنا انجلت الحقيقة لريا - جين. طبعاً راف مازال يعتقد انها، وجوردان، صديقان...

رفعت رأسها بكبرياء، لينسدل شعرها ذاك، الذي طالما سبب له الضيق، على ظهرها، ثم قالت: «نعم؟»

قال جوردان بعجرفة: «إن ريا - جين سترحل معي بالطبع.»

تطاير الشرر من عيني راف وهو يسمع اسمها الحقيقي لأول مرة، من فم ذلك الرجل. وقال متحدياً بصوت منخفض:

«ان الكلمة الفاصلة، في هذا الأمر تعود إلى ريا - جين بالتأكيد.»

نظرت هي إلى الرجلين، وقد أدركت، ولعلها تمنت ذلك، أنهما لا بد قد توصلا إلى اتفاق ايجابي بشأن العمل. ولكنها هي، حسب اعتبار راف، كانت مسألة اخرى...

هز جوردان رأسه قائلاً: «لم يعد ثمة ضرورة لبقائها هنا الآن.»

وتوتر فم راف إزاء غطرسة جوردان هذه، ونظر إلى ريا - جين ومازال الشر يتطاير من عينيه، وهو يقول بخشونة: «هل تريدين ان تعودي معه؟»

ولكن، ما هو البديل الذي سيقدمه راف لها مقابل ذلك؟

وقف جوردان بضيق ليقول وقد ضاقت عيناه: «ما الذي كان يدور اثناء الأسبوعين الماضيين يا ريا؟ أظنك قلت ان الأمر لا يعدو كونه عملاً؟»

وشعرت بوجنتيها تتوهجان، ولكن تصرف راف قد بعث الاضطراب في نفسها. وقالت بحيرة: «انني لا...»

فقاطعها راف بخشونة وقد بدا التوتر في جسده بأجمعه: «هل تريدين ان تعيشي معه، أم تبقي هنا معي؟»

معه؟ هل هو جاد في ما يقول؟ ولكن الجد يبدو عليه تماماً.

وقالت: «انني لست بحاجة إلى أن أدافع عن نفسي يا راف، مهما كان رأيك العكس.» قالت ذلك وهي لا ترى سبباً لعرضه عليها البقاء معه. وتابعت تقول: «ثم ان جوردان هو...»

وقال راف عابساً: «انه ثري جداً وذو نفوذ، ولكن هل هذا هو حقاً ما تريدين؟ تريدين فقط صديقاً غنياً؟»

www.elromancia.com

فقالت: «انك تعرف ان ذلك ليس...»

قاطعها قائلاً: «ليس لدي الثروة، بعد، حتى ولو أتى مشروع المجمع الترفيهي بالثروة، كما يعتقد السيد سمرفيل سمايث، فهذا سيحدث مستقبلاً. انني لا أعرف اذا كنت تحبينني، ولكنني عرفت من شعورك نحوي، انك لا تحبينه هو.» وأومأ برأسه ناحية جوردان وهو يتابع كلامه متحدياً: «وأنا أعرض عليك الزواج يا ريا - جين.»

الزواج؟ هل يريد ان يتزوجها؟

نظرت اليه متفحصة. لم يكن يبدو عليه منظر رجل يعرض عليها الزواج.

لقد كان يبدو كرجل يضع خاتماً أمام عينيها لأنه يعتقد انه الشيء الوحيد الذي لن يعرضه عليها جوردان.

وقال لها جوردان بصوت خشن: «ريا... انك لم تجيبيني بعد عن سؤالي.»

لقد كان يريد أن يعلم، بالضبط، ما الذي كان يجري اثناء وجودها هنا. وهي ادركت من لهجته أنه لن يقبل بأقل من ذلك.

قال له راف بصوت منخفض: «كفى ارهاباً لها. ان بامكانها هي ان تقرر ما تريد.»

فنظر اليه جوردان ببرود قائلاً: «يا عزيزي السيد...»

فقاطعه بخشونة: «انني لست بعزيزك...»

فرد عليه جوردان بحدة: «لا بأس... كوينلان، لا أدري ما الذي سبق وأخبرتك به ريا عنا نحن الاثنين...»

عبس في وجه ريا قبل ان يتابع قائلاً: «ولكن يبدو ان ثمة سوء فهم منك لنوع الصلة التي تربطني بريا - جين. فأنا

لست، ولم اكن قط، ذلك الرجل الغني الذي ينفق عليها. انني في الحقيقة...»

وقاطعته، فقد كانت تعلم ان كل شيء سيتغير عندما يعلم راف حقيقتها، بينما هي لم تجب على عرضه الزواج عليها بعد. قاطعته محذرة: «كلا يا جوردان.»

رمقها اخوها بنظرة غاضبة وهو يقول: «اذا كان ثمة مشكلة بينك وبينه هنا، كان ينبغي عليك حلها قبل حضوري هذا الصباح، لقد اخبرتك الليلة الماضية...»

فردد راف كلامه بارتياب: «الليلة الماضية؟ هل اتصلت بسمرفيل سمايث الليلة الماضية بعد حديثنا ذاك؟»

فقالت عابسة: «نعم، ولكن...»

فاستدار راف الى الرجل الآخر يسأله: «ما الذي يجعلك تتحكم بها بهذا الشكل؟»

فأجابه جوردان بهدوء: «ليس هناك تحكم، يا كوينلان، هنالك فقط احدى امتن الصلات التي ممكن ان تكون بين رجل وامرأة. والآن، هل ستضعين انت الخاتمة لهذه المهزلة، ام أنا؟» وكان القسم الثاني من حديثه موجهاً الى ريا - جين.

قال راف غير مصدق: «انتما زوجان؟»

فقال جوردان مستنكراً بازدراء: «طبعاً لا. ولو كان هذا فعلاً لكنت وضعتها على ركبتي واشبعتها ضرباً. وربما سأفعل ذلك يوماً.» ونظر اليها، وهو يقول ذلك، متحدياً.

ولكنها اشاحت بوجهها عنه باستياء، ثم اقتربت من راف ووقفت امامه ثم وضعت يدها على ذراعه وهي تقول: «هل تريد حقاً ان تتزوجني؟»

www.elromancia.com

فأجاب بخشونة: «ما كنت لأطلب منك هذا لو أنني لا أريده.»

ربما لم يكن الوقت مناسباً لكي تقول له انه لم يطلب منها ذلك في الواقع، وانما فقط، قدم البديل لذهابها مع جوردان.

تمتم جوردان: «أرجو ان تكون مدركاً ما أنت فاعله، يا كوينلان. ذلك انني لا أريد هذه المصيبة ان تقع على اي رجل، فكيف برجل انوي ان اكون شريكه في اعماله؟ فهذا العمل الذي انت مقدم عليه، لا رجوع عنه. اذ اياك ان تفكر في إعادتها إليّ عندما تدرك صعوبة الحياة معها.»

فقالت محتجة: «ولكن معشري ليس صعباً...»

فقاطعها بفروغ صبر: «انك غالباً، لا تطاقين. ولكن ربما ستكون لك، زوجة، افضل مما هي لي...»

فقاطعه بخشونة: «حذار، يا سمرفيل سمايث.»

فأكمل جوردان كلامه قائلاً بجفاء: «... اختاً.»

استدارت هي اليه هاتفة: «آه، يا جوردان.»

وذلك بعدما رأت من توتر راف ونفوره من معرفته بذلك قد ازعجه إلى اقصى حد، وأن ضيقه بما علمه عن صلتهما ببعض، هو اكثر بكثير مما كان يظنه من صلتهما قبل ذلك.

وعادت تهتف تخاطبه: «راف، لقد كنت انوي ان اخبرك انا بالأمر.»

ولكنه لم يكن ينظر اليها بل يحدق في جوردان يسأله: «هل قلت انها اختك؟»

فأجاب هذا: «نعم، وأنا أعلم ان الشبه قليل بيننا. فهي تشبه امنا، وأنا... حسناً، أظن انني لا بد ان أكون شبيهاً بأبي.» وهز كتفيه، إذ انه باستثناء طول قامته، فهو يشبه

قليلاً أباه. وان يكن لون بشرة جوردان اكثر اسمراراً. وتابع يقول: «ولكن ريا هي اختي بالطبع.»

وهنا، نظر راف اليها، وكان في عينيه من الاحتقار لها ما جعلها تشعر وكأنه وجّه اليها صفعة، وقال وكأنه يتلفظ بكلمة بذيئة: «ريا ـ جين سمرفيل سمايث.»

فقالت وهي تغص بريقها: «دعني، فقط، اوضح لك الأمر...»

فدفعها بعيداً عنه إذ رآها تهم بالاقتراب منه، وهو يقول بعنف: «لا شيء هناك يلزمه الايضاح. ومهما يكن نوع اللعبة التي كنت تقومين بها هنا فقد انتهت الآن.»

فهتفت: ««راف...»

قال هائجاً: «أريدك ان تخرجي من هنا، الآن.» واستدار ليجلس خلف مكتبه لا لشيء إلا لكي يبتعد عنها، وهو يضيف قائلاً: «أنتما الاثنين.»

فعادت تهتف بحرارة: «ولكن...»

فقاطعها اخوها بهدوء: «أظن من الأفضل ان نذهب.» ذلك انه أدرك ان غضب راف قد وصل إلى حافة الانفجار. وتابع يقول لها: «هيا، احضري امتعتك لكي نرحل.»

فقالت بصوت مختنق: «ولكن، جوردان...»

فقال يسري عنها: «هذا ليس وقته يا ريا.»

وألقى نظرة على ذلك الرجل ذي الوجه المتحجر الذي كان يجلس جامداً وراء المكتب، ثم تابع يقول عابساً: «كلا... ليس هذا وقته ابداً.»

ها هي الأمور قد بلغت الغاية من السوء. لو ان بامكانها فقط ان تشرح الأمر لراف... ولكن جوردان على حق. انه لا

www.elromancia.com

يريد ان يستمع الآن إلى أي شيء. وربما عندما يهدأ، سيكون في امكانها ان تشرح له السبب في تصرفها ذاك.

ولو ان منظر وجهه اخبرها أن وقتاً طويلاً سيمضي قبل ان يكون بامكانها ذلك.

خرجت مع اخيها، وصعدت الى غرفتها تحضر حقيبة ثيابها وكأنها في حلم. كان جوردان في انتظارها في الردهة، بينما ليس ثمة أثر للرجل الآخر، ولم يكن أمامها الا أن تفترض انه مازال في مكتبه. ولم تجرؤ ريا حتى ان تلقي على السيدة هوارد تحية الوداع، فقد كانت تخاف من الانهيار اذا هي لم تسرع في الخروج الآن. وستتصل بها هاتفياً فيما بعد، عندما تشعر بشيء من القوة.

أما أن تقول لراف وداعاً، فهذا شيء لم تستطع حتى ان تفكر فيه.

لم ينطق جوردان بكلمة وهو يضع حقيبتها في صندوق السيارة، ثم يجلس في مقعده بجانبها.

مد يده إلى يدها يضغط عليها مواسياً وهو يقول: «ليس بامكانك ان تلومي الرجل، يا ريا. فهو يشعر هذه اللحظة، بمنتهى الذل لخداعك هذا له. فامنحيه وقتاً.»

أومأت برأسها وقد منعتها الصدمة من ان تنطق بكلمة.

ولكن هدوء جوردان فارقه بعد ايام قلائل.

الفصل التاسع

«لقد ذهب شوطاً بعيداً في هذا.»

انفجر جوردان قائلاً هذا وهو يطوّح بحقيبة العمل كيفما اتفق دون اهتمام بالجلد الثمين المصنوعة منه.

رفعت ريا ـ جين نظرها عن أوراق أملاكها التي استغرقت في دراستها، في الأيام الأخيرة، لكي تجد مكاناً مناسباً تفتح فيه وكالتها، ولم يبد لها هذا الأمر سهلاً كما ظنت في البداية.

ولكن هذا لم يُضعف من عزيمتها، ذلك أنها كانت مصممة على أن تقوم بعمل ما في حياتها.

هذا إلى انها كانت تريد أن تشغل نفسها وذلك لكي تبعد أفكارها عن راف.

وكانت لا تجرؤ على التفكير في الطريقة التي افترقا بها، ذلك أنها كانت تعلم أن هذا سيسبب لها الانهيار.

واستقامت في مقعدها وهي تنظر إلى جوردان تسأله: «ماذا جرى؟»

فقال هائجاً: «كوينلان.»

توترت أعصاب ريا ـ جين عندما سمعت اسمه وسألت بهدوء: «أتعني راف؟ وما الذي فعله ليسبب لك هذا الاستياء؟»

فأجاب ثائراً: «لقد طلبت من المحامي أن يرسل إلى كوينلان الأوراق القانونية اللازمة للشراكة في العمل، ولكنها أعيدت إليّ اليوم.»

سألته: «كيف؟»

فانفجر يرد عليها باشمئزاز: «وبدون أن يوقعها، مصحوبة برسالة موجزة يقول فيها بأنه قد غيّر رأيه وقرّر عدم قبول عرضي. إن الرجل أحمق فهو يعلم تماماً أن عرضي هو عادل جداً.»

وفكرت هي في أن راف عندما سبق ووافق على هذا العرض، لم يكن قد علم بعد أن اسمها ريا ـ جين سمرفيل سمايث، وأنها شقيقة جوردان. فهذا هو السبب في أنه قد غيّر رأيه.

وهو كذلك، سيفقد أملاكه كلياً إذا هو لم يفعل شيئاً في أقرب وقت، بالنسبة لوضعه.

هل فكر حقاً في هذا الثمن الباهظ الذي سيدفعه وذلك في سبيل أن لا يتعامل مع أخيها؟

لا بد له أن يفكر في ذلك... لشدّ ما كرهها لخديعتها تلك له.

ولكن، ليس بامكانها أن تسمح لاشمئزازه من تصرفها بأن يقوده إلى هذه التضحية. إن عليها أن تتحدث إليه.

وقفت تقول بحزم: «لقد حان الوقت الآن.» ونظرت بتحد إلى جوردان عندما أدرك هذا هدفها، وتابعت تقول مبررة ما تقوم به: «إنه بحاجة إلى تصريف أعماله. إن ندمه على معرفته بي لا يبرر تضحيته بممتلكاته تلك التي عمل فيها سنوات طويلة. إنني ذاهبة لرؤية راف الآن يا جوردان. وإياك أن تحاول منعي عن ذلك لأنني...»

فقاطعها قائلاً ببطء: «إنني لم أفكر في منعك، ولكنني اتصلت اليوم أربع مرات بمنزل كوينلان وفي كل مرة كانت مدبرة المنزل تخبرني أن راف مسافر.»

تنهدت ريا قائلة: «وأنت أيضاً، لم تصدق هذا.»

فسألها رافعاً حاجبيه: «وهل تصدقين أنت ذلك؟»

وكانت هي لا تصدق ذلك طبعاً، فقد كانت متأكدة من أن راف لا يمكن أن يسافر إلى أي مكان في وقت حرج كهذا الوقت.

ولكن، هنالك شخص بإمكانه أن يخبرها ان كان راف مسافراً حقاً أم لا.

وتركت جوردان في غرفة الجلوس إلى حيث اتصلت بروبرت هاتفياً.

وعندما سمع هذا صوتها، بادرها قائلاً بمرح: «حسناً، حسناً، هل يا ترى رجعت ريا ـ جين سمرفيل سمايث إلى الحظيرة...؟»

فقاطعته قائلة: «هل سمعت بذلك؟»

سألها: «سمعت بماذا؟»

أجابت بحذر: «ألم تتحدث إلى راف؟» لقد تأكدت الآن من أن راف لم يخبر أسرته بما جرى بينهما.

وأجاب روبرت ببطء: «ليس مؤخراً. لقد قال أحد أفراد المجموعة إنه رآك منذ يومين في المدينة.»

تنهدت قائلة: «إذن فأنت لا تعلم ما إذا كان راف مسافراً أم لا.»

فرد على الفور هازئاً: «إنه طبعاً غير مسافر. إن راف لا يترك أبداً أملاكه الحبيبة.»

قطبت حاجبيها وهي تسأله: «هل أنت متأكد من ذلك؟»

بدا عليه الاستياء لعدم ثقتها به، وقال: «إنه غير مسافر، صدقيني. ذلك أنه إذا كان مسافراً فإن أمي حتماً ستذهب

www.elromancia.com

إلى منزله لكي تدير الاملاك. ولكن...» وسكت برهة، ثم عاد يقول: «هل سبب عودتك إلى منزلك هو أن جوردان قد قبل أخيراً أن يسلمك ميراثك؟»

أجابت: «إنه شيء من هذا القبيل، ولكن راف لا يرد على الهاتف.» وكان القلق يبدو في صوتها وهي تقول ذلك.

فقال: «آه، إنه غالباً يتصرف بهذا الشكل، خصوصاً عندما تبدأ أمي بإلقاء الأوامر، ولكن اطمئني فهو بخير. يمكنك أن تثقي بكلامي.»

وهذا ما ظنته هي، ولكنها كانت تريد أن تطمئن قبل أن تتوجه إلى منزل راف كوينلان.

قال لها روبرت فجأة ساخراً: «وما الذي فعلته لتغضبي ابن خالي العزيز؟ لا تخبريني أنه اكتشف حقيقتك فطردك من منزله.»

ولم تستطع أن تلومه لفضوله هذا، ولكنها لم تشأ أن تشبع هذا الفضول فردت عليه قائلة: «عليك أن تسأل راف نفسه عن ذلك.»

فقال متذمراً: «انني سأضيّع وقتي لو فعلت ذلك. فهو مطبق الشفتين على الدوام، كصدفة البحر كما يقول المثل.»

فقالت له بضجر: «وأنت أيضاً تضيّع وقتك معي. سأتركك الآن، يا روبرت فأنا...»

ولكنه هتف بها يقول: «انتظري. لقد ساعدتك فساعديني.»

فقالت: «منذ متى تتكلم بالألغاز يا روبرت؟»

بدا الملل في صوتها فعاد يقول: «هذا ليس لطيفاً منك يا ريا ـ جين.» وبان الاستياء والعتاب في صوته وهو يقول

ذلك، فهو قد اقتنع منذ سنوات بقوة تأثيره على النساء، وأنهن لا يستطعن مقاومته.

قالت ريا ـ جين بصبر فارغ: «إنني في عجلة من أمري، يا روبرت. وعلى كل حال، فإنك مديون لي بعد أن خيّبت أملي فيك عندما كشفت سرّي لجوردان.»

فقال: «ولكنني سبق وأوضحت لك السبب في ذلك، لا أريد منك سوى أن تصحبيني إلى حفلة مساء السبت.»

سألت بجفاء: «ولماذا أنا بالتحديد؟»

ضحك برقة وكان من صفات روبرت أن ثورته لا تدوم، فهو سريع الرضا وقال: «أتراك ترتابين من مقصدي؟»

فأجابت بجفاء: «ربما.»

فقال: «ولكنك سبق وخرجت معي عشرات المرات في الماضي، يا ريا...»

فردت عليه ساخرة: «كان ذلك قبل أن أعمل عند ابن خالك.»

قال متملقاً: «وإذا وعدتك أن لا أنطق باسم راف، هل تأتين معي إلى الحفلة ليلة السبت؟»

لقد كان حسن الصحبة ساعة يريد، ثم أنه حفظ سرّها أمام بقية أفراد الأسرة رغم الإغواء الذي يدفعه إلى كشفه. وقالت له: «آه... لا بأس.» وكان صوتها وهي توافق على الخروج معه، خالياً من الحماس.

هتف مسروراً: «يا لك من رائعة... إذن فسأحضر لاصطحبك الساعة التاسعة من ليلة السبت.»

أقفلت ريا ـ جين السماعة. إنها لا تريد أن تضيّع أيّ وقت في التفكير في روبرت بعد ذلك، فلديها ما يهمها ويشغل ذهنها أكثر منه كأن تجد مثلاً راف في منزله.

www.elromancia.com

وقالت لجوردان: «إنني خارجة لفترة قصيرة، فهل بإمكانك ان تلقي نظرة على هذه؟» وأشارت إلى القائمة التي تضم أسماء وكلاء الأراضي والموضوعة على المنضدة وهي تتابع: «ربما كان بامكانك القيام بذلك بشكل أفضل مما يمكنني أنا.»

وكانت تريد أن تصرف أفكاره عن راف.

قال معترضاً: «ولكن...»

فسارعت تقول: «عليّ أن أذهب يا جوردان.»

ولوحت بيدها نحوه بينما أفكارها بعيدة عنه أميالاً.

وكان جوردان قد علم تماماً إلى أين هي ذاهبة، ولكنه لم يفكر في اعتراضها!

لقد أصبحا في الأيام القليلة الماضية أكثر مودة وتفاهماً من قبل. ذلك أن ريا ـ جين قد ازداد تقديرها واحترامها لأخيها إثر ادراكها مبلغ الجهد الذي يبذله في عمله، كما أنه هو من ناحيته قد ابتدأ يتقبل فكرة أنها أصبحت أكثر نضجاً. ولم يأتيا قط على عرض راف غير المتوقع للزواج منها وماذا كان من الممكن أن يكون جوابها.

ولم يكونا هما الاثنين على مثل هذه العلاقة الوثيقة من قبل. ومن المؤسف أن هذا التفاهم لم يحدث إلا بعد أن أحبت راف، لتفقده بعد ذلك.

في طريقها نحو منزل راف، أخذت ترجو مرة بعد أخرى أن يكون روبرت صادقاً في قوله من أن راف لم يترك منزله، وأنه فقط لا يجيب على المكالمات الهاتفية وخاصة من أخيها جوردان.

كان تصرف راف نحوها كمن يقطع أنفه انتقاماً من

وجهه. يا للهول، ها قد ابتدأت تتحدث بالأمثال مثل روبرت.

ولكن راف أثبت أنه عنيد جداً، كما أنه لم يستفد شيئاً من وراء عناده هذا ما عدا إمكان فقده أملاكه فتذهب للدائنين. وهذا بالطبع آخر ما يرغب فيه مهما كان مقدار العناد الذي يشعر به حالياً.

وعندما فتحت السيدة هوارد الباب، ظهرت الدهشة على وجهها، ولم يكن هذا غريباً بعد الطريقة التي تركت فيها المنزل منذ أيام.

وترددت ريا ـ جين عند الباب وهي تقول: «هل راف في الداخل؟»

بدا على وجه المرأة الرغبة في التهرب من الجواب وابتدأت تقول: «آه... حسناً، إنه موجود ولكن...»

فقاطعتها هذه بجفاء: «ولكنه لا يستقبل أحداً.» وشعرت بالعطف على هذه المرأة وبالسرور في الوقت نفسه، لكون راف موجوداً في المنزل. وتابعت تطمئن المرأة وهي تدخل: «سأخبره أنني دخلت رغم مشيئتك.»

فقالت المرأة: «ولكن، ولكن...»

فأشرق وجهها بالابتسام قائلة: «وسأخرج رغم مشيئتك أيضاً.» ثم اجتازت الردهة بسرعة إلى حيث مكتب راف، إذ لا بد أن يكون هو فيه، وذلك قبل أن تستجمع السيدة هوارد شرود ذهنها وتفكر في إيقافها أو حتى تحذير راف، وهذا كان آخر ما تبغيه.

نقرت بخفة على باب المكتب ثم دخلت حيث وقفت عدة ثوانٍ تنظر إليه قبل أن ينتبه هو إلى انها هي القادمة وليس السيدة هوارد كما ظن.

www.elromancia.com

وسرعان ما تبع شعوره العنيف بالحب، غضب عارم.

كان يبدو عليه الاجهاد الشديد وقد بان التوتر على وجهه كأشد ما يكون. ولم يكن ثمة سبب لذلك سوى العناد.

سألته: «لماذا غيّرت رأيك بالنسبة إلى المجمع الترفيهي؟»

رفع هو رأسه بحدة لدى سماع صوتها وألقى عليها نظرة باردة كالثلج. لم يجبها على الفور، وإنما أراح ظهره إلى مسند المقعد ومضى ينظر إليها.

همد اندفاع ريا ـ جين وقد بدأت تشعر بالضيق كلما طالت نظراته إليها. وعلمت أن هذا بالضبط ما كان يهدف إليه.

ولم تكن هي قد كلفت نفسها عناء تبديل ثيابها قبل حضورها. بل خرجت من المنزل حالما شعرت بالرغبة في ذلك، وقبل أن تحملها الشكوك على تغيير رأيها، فقد كانت ما تزال ترتدي البنطلون الجينز والقميص البسيط الذي كانت قد ارتدتهما في الصباح لكي تمضي النهار في البيت.

وكلما طالت نظرات راف إليها، زاد ندمها على عدم تبديل ثيابها بواحد من تلك الثياب الغالية الثمن لكي تشعر بشيء من الثقة بالنفس. وذلك بالرغم من الازدراء الذي كان راف يبديه نحو ثيابها الغالية منذ قابلها لأول مرة.

وسألها بصوت منخفض ينطق بالشر: «وما الذي جعلك تعتقدين أنني غيّرت رأيي بالنسبة إلى المجمع الترفيهي؟»

قطبت هي جبينها وهي تقول: «ولكن، جوردان قال...»

فأكمل كلامها قائلاً: «قال انني غيرت رأيي بالنسبة إلى عرضه؟ ولكن هذا لا يعني أنني لن أشارك العمل مع شخص آخر.»

واحمر وجهها للإزدراء الذي بدا في لهجته وهو يقول (عرضه)، ولكن عبوسها ازداد وهي تسمع جملته الأخيرة، فقالت تسأله: «أما زلت مستمراً في مشروع المجمع الترفيهي؟»

فأجاب: «بالطبع.»

لقد كان يعني أنه غير مهتم بالعمل مع أخيها. وبللت شفتيها. ما المفروض أن تقوله الآن؟

وابتدأت قائلة: «ولكن التعامل مع جوردان... لقد كان، بالتأكيد...»

فقاطعها قائلاً ببرود: «أرى من الأفضل أن لا أتحدث عن العمل معك.»

شعرت بكلامه هذا وكأنه صفعة وجهها إليها عن عمد.

نظر إلى أوراق العمل التي أمامه وقال: «إذا لم يكن عندك شيء آخر تقولينه الآن...»

فقالت بضراعة: «راف. لماذا فقط لا تستمع إليّ؟ إنني أعرف أنك تظنني كنت أقوم بلعبة حمقاء عندما كنت هنا ولكن... ولكن... حسناً...»

فقاطعها بشدة: «نعم؟»

فقالت وقد غصت بريقها: «كنت بحاجة إلى عمل...»

فقال ساخراً: «رغم كل ملايين سمرفيل سمايث؟»

أومأت برأسها قائلة: «هذا هو الموضوع. كان عليّ أن...»

قاطعها وهو يقف قائلاً: «إنني في الحقيقة غير مهتم بهذا الموضوع يا آنسة سمرفيل سمايث. وأرجوك أن لا تعودي إلى هنا مرة أخرى للتدخل في أعمالي، لأنها أعمالي الخاصة.»

فدفعها اليأس إلى أن تقول له: «إنك سبق وعرضت عليّ الزواج.»

فقال دون أن يتحرك: «كل إنسان يخطىء أحياناً.» وبقي ينظر في الأوراق التي أمامه وكأنه بذلك يطردها من المكان.

وشعرت بتصرفه هذا يعصف بكيانها فهي تعلم أنها قد سبق وآذته في مشاعره، وها هو يرد لها الأذى.

ومع أنها كانت تتوقع منه هذا نوعاً ما، إلا أنه نجح في ما أراد.

قالت برزانة تامة: «إنها لم تكن غلطة، يا راف.» وسارت نحو الباب حيث وقفت عنده برهة لتقول: «ومن باب العلم فقط فإنني كنت سأقبل عرضك ذاك، في ذلك الحين.»

وتركت الغرفة حيث وقفت في الممر لتتنفس بعمق، تستجمع بذلك مشاعرها قبل أن تتابع السير نحو الباب الأمامي. ورغم رغبتها بالتسلل خارجة وقد تملكت نفسها وحشة عميقة إلا انها لم تستسلم إلى هذا الشعور، بل رفعت رأسها بكبرياء ومن ثم خرجت من المنزل.

وتمكنت من الخروج دون أن تصادف السيدة هوارد وهي تحاول جهدها تمالك مشاعرها، وعندما وصلت إلى سيارتها وقفت هي تشعر بنوع من الاسترخاء، ومن ثم ابتدأت دموعها بالانهمار. لقد كانت تأمل ان يتمسك بها.

ولكنها كانت مخطئة.

وعندما وصلت إلى منزلها كان جوردان ما يزال هناك ورغم أنها كانت تود الصعود إلى غرفتها دون أن يراها أحد، إلا أنها شعرت أن جوردان ينتظر منها بعض الإيضاح.

كان هو ما يزال في غرفة الجلوس، بعد أن تناول

عشاءه في غيابها. وعند دخولها رفع عينيه إليها متسائلاً.

تنهدت قائلة: «لقد فشلت في استعمال كل منطق مع راف. ولا بد أنك أدركت أنني ذهبت إلى منزله.»

فهز كتفيه قائلاً: «نعم، لقد خمّنت ذلك.»

وعادت تقول مكتئبة: «لقد رفض أن يستمع إليّ.»

فقال: «ريا...» وسكت إثر سماعه رنين جرس الباب. وتبادل الإثنان تقطيب الحاجبين.

كانت الساعة العاشرة مساء، فمن يا ترى ممكن أن يزورهما في هذا الوقت؟

نهض جوردان وهو يقول: «سأفتح أنا الباب فقد كنت أخبرت هينسون أننا لن نكون بحاجة إليه هذه الليلة.» ثم خرج من الغرفة.

سرّت ريا ـ جين لهذه الفرصة كي تستجمع فيها مشاعرها المشتتة. فجوردان لم يكن غبياً وهو سيتكهن بسهولة بكل ما لم تخبره به بعد، بالنسبة إلى راف.

وعندما سمعته يعود إلى غرفة الجلوس استدارت إليه قائلة: «جوردان، إنني...» وتجمّدت الكلمات في حلقها وهي ترى الرجل الواقف بجانب جوردان...

كان راف...

الفصل العاشر

لم تستطع جين التي لم يمض على وصولها سوى دقائق أن تصدق أن راف هنا الآن. ويبدو أنه ترك منزله حال تركها هي له، وذلك لكي يصل إلى هنا بسرعة.

كان ينظر إليها بحزم، وقد نبض عرق في صدغه بينما بدا جسمه مشحوناً بالطاقة العصبية.

راف؟ وبهذه العصبية؟

قطبت جبينها بحيرة لهذا التصرف منه. ما الذي يفعله هنا؟

وقال أخيراً بصوت متوتر: «لقد قررت قبول الجواب لعرضي ذاك، هذا إذا كان ما زال هو القبول.»

فهزت كتفيها قائلة: «إنني متأكدة من أن جوردان ما يزال مهتماً...»

فقاطعها بخشونة: «إنني لا أتحدث عن مشروع المجمّع الترفيهي، لقد كنت أخبرتني منذ وقت قصير أنك كنت ستقبلين عرض الزواج الذي سبق وعرضته عليك لو كنت تركتك تدلين بالجواب في ذلك الحين، والآن جئت لأكرر ذلك العرض.»

أطلق جوردان ضحكة قصيرة وهو يهز برأسه لهما قائلاً: «أظن من الأفضل أن أترككما تتحدثان معاً بمفردكما، فإن المسألة تبدو لي معقدة نوعاً ما.» واستدار ليخرج، ولكن ريا ـ جين هتفت به عابسة وهي تقول: «آه، ولكن يا جوردان ألا تريد أن تتحدث إلى راف؟»

فألقى نظرة على راف قائلاً: «أن ينتظر موضوعي ساعات قليلة بعد أن انتظر كل تلك الأيام التي مضت لن يغير من الأمر شيئاً، ومن جهة أخرى...» ونظر إليهما مازحاً وهو يتابع قائلاً: «أظن من الأفضل أن تستقرا على رأي الآن في مسألة هذا الزواج قبل أن يغيّر أحدكما رأيه مرة أخرى.»

وساد السكون بعد خروج جوردان من الغرفة، وبدا وكأن أياً من راف وريا ـ جين لا يعرف ما ينبغي أن يقوله الواحد منهما للآخر عندما أصبحا بمفردهما.

ولكنه هو الذي لحق بها من منزله... وإن يكن هذا أخذ وقتاً أكثر مما كانت تريد، مما حطم قلبها من جديد.

وفجأة، قال بخشونة: «أريد أن يكون مفهوماً لديك جيداً أنني لن ألمس قرشاً واحداً من أموالك، يمكنك أن تفعلي بثروتك ما تشائين ولكنني لا أريد أن يقول أحد انني تزوجتك لأجل أموالك.»

فقالت: «راف...»

فعاد يقول: «ذلك لأنني في الحقيقة، لن أتزوجك لأجل أموالك...»

فقاطعته بحزم: «راف، إنني لا أملك أية نقود في هذه اللحظة. وهذا هو السبب في أنني كنت بحاجة إلى عمل... السبب في... آه، إنها قصة طويلة.» وسكتت برهة ثم ابتدأت تحدثه عن وصية أبيها وما تضمنته من شروط.

تمتم راف قائلاً: «يا له من أحمق.»

عبست قائلة: «إنه في الواقع لم يكن أحمق، فقد كنت أنا فتاة عنيدة متمردة إلى أن بلغت الثامنة عشرة وهو وقت وفاة والدي.»

ابتسم بجفاء قائلاً: «هل كنت فتاة عنيدة متمردة؟»

فردت عليه مبتسمة: «إذا كنت تراني سيئة الآن، فماذا كنت ستقول عني قبل ثلاث سنوات؟»

فأجاب: «كان هذا أيضاً سيعجبني فيك. ريا، هل كنت تعنين حقاً ما سبق وقلته لي عن قبولك الزواج مني؟» وكان الآن يقف أمامها ينظر إليها بعينين مفعمتين بالمشاعر.

فأومأت برأسها قائلة: «نعم، كنت أعنيه حقاً.»

سألها: «هل تشرفينني بقبولك الزواج مني؟»

فهتفت وهي تبتسم، شاعرة وكأنها عادت إلى بيتها بعد رحلة طويلة مجهدة، هتفت تقول: «آه... نعم.»

همس بلهجة هادئة: «لشد ما افتقدتك في الأيام القليلة الماضية.»

هزت رأسها ثم قالت: «وأنا أيضاً كرهتها للغاية.»

قال عابساً: «تصوري كم شعرت بالحماقة وأنا أتحدى ذلك الرجل الغني الواسع النفوذ، بأنني سأتزوجك، فلا يمكنه بعد ذلك الاستحواذ عليك، وإذا بي أعلم أنك أخته وأنك لا تقلين عنه غنى ونفوذاً.»

فقالت: «ولكن...»

قاطعها مبتسماً: «إنني أعرف انك لست كذلك، في الحقيقة يا عزيزتي، وإلا لما صبرت عليّ أثناء الأسابيع الماضية. ولكن إذا كنت بحاجة إلى وظيفة كما قلت فهذا لا يعني أنه كان عليك أن تتحملي إهاناتي معها.» وتابع هازئاً من نفسه: «وعندما اكتشفت حقيقتك...»

فقاطعته وهي تضع اصبعها على فمه: «كفى انتقاداً لنفسك، فقد عدنا واجتمعنا ولا شيء سيفرق بيننا بعد الآن، أليس كذلك؟» وأنهت جملتها بشيء من القلق.

أجابها قائلاً: «إنني أعدك بأن لا أتصرف بمثل هذا العناد الأحمق مرة أخرى.»

قالت: «وأنا أعدك... آه.» وابتسمت بعبوس فجأة وهي تتابع: «إنني لا أريدك أن تستاء مني، ولكنني سبق ووعدت روبرت بالخروج معه إلى حفلة ليلة السبت القادم.»

رفع حاجبيه قائلاً: «هل أفهم من هذا أنه كان يعلم حقيقتك طول الوقت؟»

أسرعت تقول: «نعم، ولكنني جعلته يقسم على أن يكتم الأمر.»

لوى فمه قائلاً: «إذن فاحتفظي بموعدك معه بكل تأكيد، ذلك لأن خطيبك سيكون موجوداً هو الآخر. ويمكن لجوردان أن يصحبنا هو أيضاً.»

احتجت وهي تضحك قائلة: «أليس في هذا شيء من القسوة بالنسبة إلى روبرت؟ إذ يمكن له أن يتحمّل وجود شخص آخر معنا أما أن يكون هناك إثنان، فهذا ليس عدلاً.»

هز راف كتفيه قائلاً: «لا بد أن الحفلة التي سيأخذك إليها هي الاحتفال بذكرى زواج والدته أنيتا. وهذه ستكون مناسبة طيبة نعلن فيها زواجنا، ونقدمك أنت وجوردان لبقية أفراد الأسرة.»

فقالت ريا ـ جين: «إن عمتك لن تكون مسرورة.» لقد كانت ما تزال تذكر برود تلك المرأة نحوها.

فأجاب: «لم يكن لرأي أنيتا أي اعتبار عندي من قبل، فلماذا أغير من عادتي هذه؟»

ولكن لم يخطر ببال أحد منهما نوع ردة الفعل عند أنيتا عندما تكتشف من هي بالضبط ريا ـ جين.

وصل روبرت في الوقت المعيّن بالضبط لموعده مع ريا ـ جين مساء الثلاثاء، ليقف متجمداً في مكانه عندما قادته إلى غرفة الجلوس ليجد نفسه أمام الرجلين الآخرين.

وكان راف وريا ـ جين قد أمضيا أغلب أوقاتهما معاً أثناء اليومين الماضيين، وكان التوتر قد تلاشى الآن من ملامح راف بينما تألق وجه ريا ـ جين بالسعادة.

كان منظر الرجال الثلاثة معاً كافياً لكي يبهر أنظار أية امرأة، فقد كانوا، هم الثلاثة طوال القامة وسيمي المظهر وبالغي الجاذبية في ملابس السهرة السوداء والقمصان البيضاء. وتملك ريا ـ جين الزهو وهي ترى نفسها محاطة بثلاثة من أروع الرجال مظهراً.

وما زال روبرت المسكين غير مدرك تماماً أنها فعلاً ستكون مصحوبة بهم، هم الثلاثة.

وقال متلعثماً: «من؟ جوردان؟ و... راف أيضاً؟» وتجلت الحيرة على ملامحه.

ألقى راف نظرة على الساعة في معصمه وقال يخاطبه: «عندما يتعلق الأمر بموعد مع فتاة جميلة فإن مواعيدك هي دوماً دقيقة.»

نظر إليهما جوردان ثم قال: «أترغبان في تناول شيء من القهوة، أم تفضلان أن نذهب الآن؟»

واتسعت عينا روبرت وهو يسأل: «نذهب؟ ولكن...»

فقال له راف بهدوء: «إنني لا أطمئن على ذهاب خطيبتي معك بمفردها.»

قال جوردان مازحاً: «ولزيادة الاطمئنان عليها، فأنا قادم معكما أيضاً.»

كان راف وجوردان قد أصبحا في الأيام الأخيرة ثنائياً عنيداً يصعب التغلب عليهما.

فمن الناحية العملية كانا منسجمين تماماً، ومن الناحية الشخصية أدهش ريا ـ جين أن ترى الصداقة تتوثق بينهما. وهكذا وجد روبرت المسكين نفسه عاجزاً إزاءهما هما الاثنين.

نظر روبرت مصعوقاً وهو يسمع كلمة (خطيبتي) هذه، ونظر إلى ريا ـ جين قائلاً: «ولكنك لم تخبريني بذلك عندما اتصلت بي ذلك اليوم...»

فقاطعه راف وهو يضع ذراعه حول كتفي ريا ـ جين ويجذبها إلى جانبه: «آه، إننا لم نكن عند ذاك مخطوبين بعد، وعندما وافقت ريا على الزواج مني كان ذلك بعد ان أعطتك هذا الموعد. وطبعاً لم تشأ أن تخذلك في مثل هذه المدة القصيرة التي بقيت للحفلة. ولكن في ظرف كهذا فأنا لا...»

فقاطعه روبرت بسرعة: «لا بأس. يسرني جداً أن ترافقنا.» لقد تقبل أخيراً هذا الوضع، بل لعله استمتع به حقاً، وعلى كل حال فهذا خبر طيب سيخبر به أمه. والتفت إلى جوردان يقول: «وأنت أيضاً يا جوردان بالطبع.»

وعندما وصلا إلى منزل آل بارنز أمكن لريا ـ جين أن تلاحظ شدة اهتمام روبرت بما سيحدث خلال الدقائق القليلة القادمة، وتطلعه إلى ان يرى إلى أي مدى سيجلب خبر خطبة راف وريا ـ جين الاستياء إلى نفوس بقية أفراد أسرته.

كان روبرت يعلم دوماً أنه لن يكون بالنسبة إلى ريا ـ جين أكثر من مجرد صديق، ولهذا فهي لم تتوقع منه أبداً أن

يشعر بالاستياء لخطبتها هذه. والآن، وبعد أن زال تأثير الصدمة المباشرة لهذا الخبر الذي سيجعلها زوجة ابن خاله، فقد ابتدأ يلتمس متعة ما سيحدث بعد حين.

كانت الباحة أمام المنزل حاشدة بالسيارات الفخمة، مرسيدس، بي أم، دبليو، جاكوار، كما كان هناك واحدة من طراز رولز - رويس.

قال روبرت مازحاً وهو يوقف سيارته الرياضية جانباً: «فقط بعض أصدقاء الأسرة.»

وقال راف لريا ـ جين وهو يفتح لها باب السيارة لتترجل منها إلى الرصيف: «ترين السبب في اجتنابي كل هذه المظاهر.»

فقالت: «لا بأس، فالحفلة القادمة التي عليك أن تحضرها، هي عرسنا.»

فقال: «الشهر القادم؟»

لقد سبق وتحدثا عن الموعد المناسب للزفاف، لو ترك الخيار لراف وريا ـ جين لاختارا نهار الغد، ولكن جوردان أصرّ على أن عرس ريا ـ جين يجب أن يكون بالغ الفخامة يدعى إليه علية القوم والأصدقاء كافة.

قالت تجيب راف: «سيكون الزفاف في أسرع وقت ممكن.»

وجاءهما صوت روبرت يقول بفروغ صبر: «هيا، أنتما الاثنين، سيكون عندكما الوقت الكافي لهذا فيما بعد.»

ضحكت ريا ـ جين وهي تتبعه مع راف إلى الداخل، وهي تقول: «إنك في شدة اللهفة لكي تذيع أمر الخطبة. أليس كذلك؟»

التفت إليها باسماً وهو يقول: «هذا صحيح.»

قال جوردان وهو يوقف سيارته: «إنه صادق على كل حال.»

فألقى عليه راف نظرة ذات معنى وهو يقول: «إنك لم تتعرف إلى أمه بعد، عمتي أنيتا.»

فأجاب جوردان: «إنني أتطلع إلى ذلك.» وفتح الباب في هذه اللحظة لتبرز منه فتاة في نحو السادسة عشرة من العمر، ذات شعر بني قاتم، قريبة الشبه بملامحها من روبرت.

وتمتم راف مازحاً: «ها أنذا.»

وكانت أنيتا واقفة في وسط مجموعة متألقة من المدعوين. أما التألق فهو ينبعث من المجوهرات التي كانت المدعوات الناضجات في السن يتحلين بها.

ولكن ما أن شاهدت أنيتا روبرت حتى استأذنت من الباقين ثم توجهت لتحية ابنها.

كانت المرأة المسنة تبدو جميلة تقريباً هذه الليلة، فقد كست السعادة ملامحها المتزمتة، كما فترت شفتاها عن ابتسامة حنان وهي تقبل ابنها قائلة بحرارة: «أشكرك للأزهار الرائعة التي أرسلتها يا حبيبي. إن أباك هناك في مكان ما.» وأشارت بيدها إلى ناحية غرفة الجلوس خلفها.

فقال روبرت: «سأراه بعد لحظة. أما الآن يا أمي فإنني أحب أن...»

ولكن أمه كانت قد لاحظت الآن وجود راف خلف ابنها فهتفت: «راف... كم هو جميل منك أن تحضر.» وكانت

الحيرة تبدو في صوتها وكأن وجوده هنا هو آخر شيء كانت تتوقعه. وتابعت تقول: «لم أكن أظن أنك عرفت...»

فقاطعها روبرت قائلاً بحزم: «لقد جاء راف معي يا أمي.» وبدا شيء من الاستياء على أمه لهذه المقاطعة لكلامها وقالت: «أحقاً؟» واشتدت الحيرة على ملامح أنيتا، فقد كانت تدرك أن الاثنين لم يكونا قط متلازمين من قبل.

أضاف روبرت بلطف: «وهذه خطيبته.»

اتسعت عينا أنيتا بارنز وفارقت البهجة وجهها وهي ترى ريا ـ جين واقفة قرب راف. وقالت: «خطيبته؟ ولكن... ولكنك...»

فقاطعها روبرت مستمتعاً بحيرتها تلك: «إنها ريا ـ جين سمرفيل سمايث.»

فقالت محتجة بضعف وقد شحب وجهها: «كلا...»

فتابع هو: «وهذا أخوها...»

فأكملت أمه كلامه قائلة وقد ازداد شحوب وجهها: «جوردان...» ونظرت إليه غير مصدقة وهي تردد: «أنت؟ ماذا؟ كيف عرفت؟ هل تراها تركت لك رسالة أم شيئاً من هذا القبيل؟ بعد ان أكدت لي أن لا أحد مطلقاً سيعلم بالأمر؟»

واستدارت إلى ريا ـ جين تقول بلهجة الاتهام: «وكيف واتتك الجرأة على التسلل إلى منزل الأسرة بتلك الطريقة؟ باسم جين سميث؟» وأضافت مشمئزة من نفسها: «حتى أنني علّقت في ذلك الحين عندما رأيتك أثناء زيارتي للمنزل، علّقت على مدى شبهك بديانا، لا بد أنك سخرت مني عند ذاك. لماذا فعلت ذلك؟ أريد أن أعرف انك تعرفين أن ليس عندنا أي نقود.» وأطلقت ضحكة خشنة وهي تتابع:

«مع كل ملايين آل سمرفيل سمايث تهتمون للقليل في أرضنا تلك؟ انكم...»

وقاطعها زوجها بقوة: «أنيتا!» وكانت ابتسامة متوترة تعلو شفتيه أمام بعض المدعوين الذين كانوا يستمعون إلى هذا الحديث الذي انفجرت به زوجته فجأة. ثم أمسك بذراعها بيد ثابتة وهو يتابع متمتماً: «اخفضي صوتك. وإذا كان ثمة أية مشكلة فلنذهب جميعاً إلى مكتبي للتحدث بشأنها.»

فقالت: «ولكن...»

قاطعها راف بخشونة وهو ينظر إليها بعينين ضيقتين: «أظن ان الحق مع جاك يا أنيتا.»

وكانت ريا ـ جين ما زالت ذاهلة لهذا الهجوم العنيف، وجفلت قليلاً عندما وضع راف ذراعه حولها مشجعاً. لقد كانت تتوقع شيئاً من التعنيف لخدعتها تلك، ولكن هذه الثورة العارمة كانت شيئاً آخر.

لم يكن مكتب السيد بارنز ليشبه أياً من مكتبي راف وجوردان، ذلك أنه كان أنيقاً مزخرفاً باللونين الأزرق والرمادي مما يوحي بالذوق الأنثوي وربما ذوق زوجته.

انتظرت أنيتا إلى أن أغلق الباب خلفها لتستدير إلى جوردان قائلة بسخرية: «إنك تعلم أن ليس لك الحق في أملاك الأسرة، وإلا جازفت بحقك في كل ما تركه لك سمرفيل سمايث. ثم...»

وأسكتها عن اندفاعها بهذا الوابل من التقريع، صوت راف الهادىء القوي يقول: «أنيتا، إن جوردان سيكون قريباً نسيبي.»

فقالت متهكمة: «أية مهزلة هذه؟ ما كان في الامكان أبدع

مما كان، كما يقول المثل.» واستدارت نحو ريا ـ جين قائلة وهي ترمقها بعينين ثائرتين: «كان عليّ أن أدرك انك ابنتها، إن الشبه...» وهزت رأسها وقد بدا الشعور بالعجز على ملامحها وهي تتابع قائلة: «يبدو أنكما متخصصتان في استغفال الرجال في هذه الأسرة، مهما كانت الحواجز بينكن وبينهم.»

تقدم راف إلى الأمام وقد نفر عرق في صدغه، وهو يقول: «أنيتا، إنني أريدك أن تخبريني عن كل هذا الذي تتحدثين عنه.»

فانتقلت بنظرها إلى ريا ـ جين وجوردان وهي تقول بمرارة: «لماذا لا تسألهما؟»

فأجاب دون أن يحوّل نظره عنها: «لأنني أسألك أنت.»

قالت أنيتا باشمئزاز: «لقد كانت الحمقاء الصغيرة حاملاً عندما تركت منزل آل كوينلان. لقد تركت نفسها تحمل... هكذا بكل براءة.»

فتصلب جسد راف بجانب ريا ـ جين وقال بكل ثقة: «إن ريا ـ جين ليست حاملاً.»

فقالت بمرارة: «إنني لا أتحدث عنها.»

فتدخل جوردان قائلاً بصوت خشن: «أمي... إنها تتحدث عن أمي.»

فقالت أنيتا بصوت ظافر: «أرأيت أنه يعلم ما أتحدث عنه؟ إن الحمقاء الصغيرة لم تشأ أن تتخلص من الجنين. ولكن في هذه الأثناء أصبح دونالد مسؤولاً عن هيلين زوجته التي أصيبت في حادث سيارة بشكل خطير. وهكذا ساعدت أنا ديانا على الخروج من المنزل.»

فسألها راف بخشونة: «وكيف؟»

فأجابت بحدة: «ساعدتها مالياً إلى أن يمكنها أن تقرر ماذا ستفعل بالجنين...»

فقال جوردان بهدوء وقد بدا عليه وكأنه قدّ من حجر: «وهل احتفظت به؟»

فحدقت أنيتا به قائلة: «نعم، لقد احتفظت بك. فما الذي تريده منا الآن؟ إنك تملك الآن أكثر مما كنت ستملكه لو كان دونالد أباك.»

وكان كل هذا غير معقول.

هل هذا ممكن؟ هذا الذي تقوله أنيتا بارنز؟

وهل جوردان هو شقيق راف، حقاً؟ كما تقول هذه المرأة؟

ونظرت إلى راف ساخرة وهي تقول: «لقد استغفلك يا راف. وذلك إذ تدخل الآنسة سميث الصغيرة منزل آل كوينلان، تطلب عملاً بينما هي...»

فقاطعها جوردان ببرود: «مهما بدا الأمر مستغرباً يا سيدة بارنز، فإن ريا ـ جين هي جاهلة تماماً بكل هذه الأمور.»

فقالت أنيتا بلهجة لاذعة: «هل تنتظر مني حقاً أن أصدق ذلك؟»

فأجاب جوردان بصوت هادىء ينضح بالشر: «إنني أنتظر منك أن تصدقي أنني وريا ـ جين، حتى راف أيضاً، إذا اعتبرنا الذهول الذي يكسو ملامحه، أن تصدقي اننا قبل دقائق قليلة لم تكن لدينا نحن الثلاثة، أية فكرة عن أن دونالد كوينلان كان... كان أبي.» لقد بدا جوردان في منتهى الذهول الآن، وذلك رغم كل غطرسته.

وكان هذا أيضاً شيئاً غير معقول.

ولأول مرة، أخذ نظر أنيتا يتنقل بينهم هم الثلاثة، لترى الحقيقة التي نطق بها جوردان مرسومة على وجوههم، وقالت وهي تلهث: «آه أتعني أنه لو لم أقل أنا شيئاً...»

فقاطعها راف بخشونة: «كما فعلت طوال السنين الماضية.»

ولكنها تابعت قائلة: «... لما عرف أحد منكم شيئاً؟» وبدا العجز على ملامحها حين أدركت ذلك، وبدا وكأن كل ذلك الجهد والعنف اللذين كانا يتفجران منها قد فارقاها الآن. وتأوهت وهي تقبض بشدة على مسند الكرسي القائم أمام المكتب، تأوهت قائلة: «عندما رأيتكم، أنتم الثلاثة معاً، ظننت أنكم قد علمتم بالحقيقة بشكل ما، فجئتم تواجهونني بها.»

فقال راف بثبات: «بعد كل الذي قلته الآن، أظن من الواجب أن تخبرينا بالضبط عن الحقيقة.»

فنظرت أنيتا إلى راف وريا ـ جين قائلة: «هل أنتما حقاً، ستتزوجان؟»

فأجاب راف: «في أسرع وقت ممكن.»

فتنهدت أنيتا وهي تجلس، ثم قالت: «إذن، عليكما أن تعلما الحقيقة، أليس كذلك؟ إذن، فاعلما أنني، وديانا، حرصنا طيلة تلك السنوات، على أن لا نتقابل في أية مناسبة اجتماعية. والآن، إليكم ما حدث.»

واقتربت ريا ـ جين من راف تقف بجانبه، بينما ابتدأت أنيتا تتحدث عما جرى منذ ثلاثين عاماً.

«عندما دخلت ديانا منزل آل كوينلان لتعمل مربية لراف، كان دونالد وهيلين منفصلين، بعد أن هربت هيلين، قبل

أشهر، مع السائق، مدعية بأنها نالت ما فيه الكفاية من الحياة المملة في ذلك البيت في الريف.»

وشعرت ريا ـ جين بجسد راف يتوتر لسماعه هذا، فمدت يدها تلامس ذراعه لتشعره بتفهمها للهلع الذي يتملكه إزاء ما يسمع.

«وبعد ذلك، حدث مالا مناص منه. فقد وقع دونالد وديانا في حب أحدهما الآخر.»

وكان واضحاً من لهجة أنيتا الساخرة، نوع شعورها هي نحو ذلك.

وقالت أنيتا تخاطب راف: «هل تراك كنت ستقبل ذلك الوضع.»

فأجاب بخشونة: «ويبدو أنك لم تقبلي به؟»

فأشاحت أنيتا بوجهها ساخرة وهي تقول: «لقد كانت ديانا أقل لياقة من هيلين، رغم ما قامت به هذه الأخيرة، لكي تكون في منزل كوينلان ولو حبيبة.»

فقال راف متحدياً: «رأي من كان هذا؟»

فقالت عمته: «إنك تعرف كيف كان شعوري على الدوام نحو منزل آل كوينلان.»

فأومأ برأسه قائلاً: «نعم، إلى حد أن ليس ثمة شخص يستحق أن تكون له تلك الأملاك، ما عداك.»

فاحمر وجهها وهي تقول: «إن لي نفس الحق الذي...»

فقاطعها زوجها قائلاً: «لا أظن ثمة فائدة من الدخول في الخصوصيات، يا أنيتا.» وكان يبدو عليه نفس الذهول، لما صرحت به زوجته الذي بدا على وجوه الآخرين. وتابع بضيق: «تابعي الحقائق التي كنت تدلين بها.»

www.elromancia.com

فأطاعت قائلة بحدة: «حسناً. لقد أصيبت هيلين في حادث سيارة، بالشلل من خصرها حتى قدميها، فهجرها حبيبها السائق بالطبع، كما يبدو. فماذا كان في إمكان دونالد المسكين أن يفعل في ظرف كهذا؟ لقد عادت إليه زوجته فجأة، وهي أم ولده، وهي في أشد الحاجة إليه.»

فقال راف: «هذا بينما كانت ديانا حاملاً.» وألقى نظرة على جوردان الذي كان واقفاً في آخر الغرفة يستمع بجمود وقد شحب وجهه.

وأجابت أنيتا: «إن دونالد لم يعرف قط عن هذا الحمل...»

فسألها راف بحدة غير مصدق ما يسمع: «ماذا؟»

أجابت أنيتا بفروغ صبر: «إن ديانا لم تجد فرصة تخبره فيها بذلك، عندما وقع ذلك الحادث لها. وإلا لما أنكر دونالد وجود إبنه بتاتاً لو كان قد سبق وعلم به.»

فقال راف يدينها: «ولكنك أنت كنت تعلمين.»

فأجابت: «علمت ذلك فقط عندما رأيت ديانا مريضة تتقيأ ذات يوم، فتكهنت بما حدث، ولكنها جعلتني أقسم على كتمان هذا السر.»

فقال راف بخشونة: «وهذا هو السر الوحيد الذي كنت سعيدة جداً بكتمانه.»

فقال له جاك بارنز محذراً وهو يرمق جوردان: «راف. إن هذا شيء لا فائدة منه.»

فأجاب راف بانزعاج: «معك حق.»

تنهدت أنيتا بعمق وهي تتابع قائلة: «وقررت ديانا أن عليها أن ترحل. ولوجود هيلين، في المنزل، لم يكن

أمام دونالد من خيار سوى القبول بقرارها ذاك. وقد شعرت أنا تقريباً، بالأسى لأجلها، وعرضت عليها المساعدة قدر إمكاني. ثم، وبضربة حظ. تعرفت إلى سمرفيل... سمايث.»

قالت ذلك باشمئزاز ثم تابعت: «ولما كان هو عقيماً، وكانت ديانا حاملاً، إنما وحيدة، فقد كانا مناسبين تماماً.»

ونطقت أنيتا بكلماتها الأخيرة بلهجة لاذعة.

وهتفت ريا ـ جين محتجة: «ولكن هذا غير ممكن... فهناك أنا.»

نظرت إليها أنيتا بإمعان وهي تقول: «نعم، هناك أنت. ودون شك، إبنة ديانا.»

فسارع جوردان يقول، مطمئناً ريا ـ جين، بهدوء: «وهي إبنة جايمس كذلك.» وكانت هذه هي أول مرة يتكلم فيها منذ ابتدأت أنيتا توضح الأمور. وتابع جوردان يقول: «إنني مازلت أذكر تصرفاته عندما ولدت يا ريا ـ جين. كان الحزن لفقده أمنا، يمتلكه، ولكنه، في نفس الوقت، كان يجول في أنحاء المنزل وهو يهذي ويصرخ بعنف قائلاً: «إنها مجرد بنت حقيرة، بعد كل ذلك التعب في المحاولات وتجارب العلاج.» وفي ذلك الحين، لم أفهم ما يعنيه بقوله ذاك، ولكنني أفهم الآن.»

كما أن ريا ـ جين أدركت الآن أن والدها لم يصفح عنها قط كونها (مجرد بنت حقيرة). لقد كانت هي وحدها ابنته الشرعية وليس الصبي الذي كان يأمل به. وهذا يوضح الكثير من تصرفاته نحوها.

لقد وضح الآن في الحقيقة، الكثير من الأمور.

www.elromancia.com

تنهد راف قائلاً: «وهكذا بقي والديّ بقية حياتهما في حالة استنفار دائم. يا للخسارة.»

فقالت أنيتا ساخرة: «ولكن، لو عاش أبوك مع ديانا طوال السنوات تلك، لما انجبت لك ديانا عزيزتك ريا ـ جين.»

فاشتدت ذراعه حول كتفي ريا ـ جين وهو يقول: «إذن، فأنا مسرور لما تطورت إليه الأمور، لأجلنا فقط، ولكن...»

«ماما.» وكان هذا هو صوت الفتاة السمراء التي سبق وفتحت لهم الباب الأمامي، وقد دخلت الغرفة بعد نقر خفيف على الباب، لتتابع قائلة: «إن ضيوفك قد ابتدأوا يشعرون بالضيق لغيابك، ثم أن هذه هي حفلة ذكرى زواجك.»

فأجاب والدها بحزم: «إننا قادمون، يا تشيلسي، هيا يا أنيتا، ويا روبرت، فقد حان الوقت للانضمام إلى المدعوين.» واستدار نحو راف وجوردان وريا ـ جين قائلاً: «أظن أنكم، أنتم الثلاثة، بحاجة إلى وقت تتحدثون فيه مع بعضكم البعض.»

فقالت أنيتا: «ولكن، يا جاك...»

فقاطعها: «أنيتا، أظن صمتك طيلة تلك السنوات قد أحدث ما يكفي من خراب. فدعينا، على الأقل، نترك هؤلاء الثلاثة وحدهم ليعتادوا على التغيير الذي أصاب علاقاتهم ببعضهم البعض.»

وتبعت أنيتا زوجها متذمرة، وتبعها روبرت بعد أن منح ريا ـ جين ابتسامة مشجعة.

وفي سكون غرفة المكتب، بعد أن أصبح الثلاثة بمفردهم، أخذ راف وجوردان يحدّق الواحد منهما في الآخر بصمت، بينما أخذت ريا ـ جين تتذكر الأيام التي كانت

تقارن فيها بين الرجلين لتجدهما متشابهين إلى حد كبير. فعدا عن الشخصية والطباع، كان هنالك التشابه في الشكل أيضاً وقد أدركت سبب ذلك الآن.

ابتدأ راف الكلام، قائلاً: «لا أستطيع أن أصدق أن أنيتا احتفظت بهذا السر ثلاثين عاماً، رغم حرصها على أملاك كوينلان. ولو لم نلتق، أنا وريا ـ جين...»

فقاطعته بحزم: «ولكننا التقينا.»

وأخيراً، قال جوردان: «إنه القدر. كان مقدراً لهذا أن يحدث. ويساورني الشعور بأن أمي لو كانت حية، لسعدت جداً بهذا.»

فهتفت: «جوردان...»

قاطعها جوردان بصوت متوتر بينما كانت تتقدم هي نحوه، قاطعها بقوله: «إنني... إنني بحاجة إلى الإنفراد بنفسي للتفكير في كل هذا.»

فاعترضت قائلة: «ولكن...»

أسكتها راف بلطف قائلاً: «دعيه يذهب، يا ريا.» ومضى يراقب جوردان وهو يعبر الغرفة إلى الباب بحركات متشنجة، ثم تابع قائلاً: «إنه، كما قال بحاجة إلى وقت يعيد فيه تقييم وضعه الخاص.»

وتنهدت رايا ـ جين بصوت عالٍ وهي تقول: «آه، يا راف. لا يمكنني تصديق كل ذلك.»

قال: «فكيف إذن بجوردان، هيا بنا يا ريا. كل الأمور ستنتظم، وسترين.» كان يقول لها هذا مواسياً بعد أن رآها ترتجف.

هزت رأسها غير مصدقة، وهي تقول: «كيف استطاعت أنيتا أنت تحتفظ بكل هذا لنفسها طوال تلك السنين.»

أجاب: «إنها، كما قلت سابقاً، لم تكن تريد أن يظهر ولد آخر يدمر آمالها في أن يرثني روبرت يوماً ما.»

نظرت إليه قائلة: «وهل كنت تعلم بهذا؟»

فأجاب: «بالطبع، وقبل أن أقابلك، لم يكن ثمة ما يمكن أن يخيب آمالها تلك.» وابتسم لها.

هزت رأسها قائلة: «وقد خابت آمالها مرتين الآن بعد أن عرف جوردان أنه أخوك. وهذا سيأخذ منه وقتاً لكي يتعوده. ثم أنه سيكون لنا أولادنا. لشد ما أتلهف إلى ذلك.»

فقال والفرحة تشع من عينيه: «وكذلك أنا. وعندما يصبح عندنا طفل سيكون طفلنا جميعاً، إذ أن جوردان سيكون عمه أيضاً كما هو خاله. وهذا التغير في الصلات لن يكون غريباً علينا.»

فأجابت بقلق: «فلنأمل أن لا يكون ذلك.» لقد كانت صدمة حقيقية بالنسبة لجوردان في النصف ساعة الأخيرة وهو يرى نفسه يفقد هويته الحقيقية. وهو سيكون بحاجة إلى كل حبهم وتعاطفهم معه في الأشهر القادمة. وكأنما قرأ راف أفكارها فقال: «انني سأسانده في ذلك. وستنتهي الأمور على خير.»

وعندما يتكلم راف بهذه الثقة فهي لا تشك في كلامه.

الخاتمة

قال لها روبرت بجفاء: «إن أمي ما زالت تشعر بالإستياء.» فابتسمت ريا - جين له وهما يرقصان معاً في الصالة الرئيسية في المنزل. كانت قطع الأثاث قد أزيحت إلى جانب لكي تسمح لحوالي خمسين مدعواً كانوا يحتفلون بذكرى مولدها الواحد والعشرين.

ألقت نظرة إلى أتيتا بارنز ثم قالت: «يبدو أنها أقل استياء مما بدت عليه أثناء العرس منذ شهر.»

لقد كان شهراً حافلاً بالعمل، إذ كان العمل سيبدأ في المجمع الترفيهي مباشرة بعد هذه الحفلة، وكان راف وجوردان شريكين في هذا المشروع. وعلى كل حال فقد جعل الزواج بين راف وريا - جين من الرجلين نسيبين، مما بدا طبيعياً أن يتشاركا في العمل. وقال روبرت يذكرها: «إنها لم تنسَ بعد امالها في آملاك الأسرة وكل هذا...»

«لا شك ان استياءها سيزداد عندما تعلم عن الطفل القادم.»

فهتف: «يا لسعادتي، لا يمكن أن تكوني... انك لا تعنين..؟» وتوقف عن الرقص وهو يقول: «أبهذه السرعة؟»

«نعم، بهذه السرعة. ان راف في غاية الابتهاج.»

فقال بإعجاب: «إنكما، في الحقيقة، لم تضيعا وقتكما.»

وجاءها صوت راف مخاطباً روبرت بقوله: «إذا كنت لا ترقص مع زوجتي، فسأرقص أنا.» وسرعان ما كان يجذب إليه، ريا - جين ليدور بها في الحلبة بين الراقصين.

وابتسمت لزوجها وهي تقول: «أظن روبرت سيبتهج بإطلاع أمه عن الطفل.»

«إن هذا لا يدهشني. كما أنني اخبرت الآن جوردان بذلك. وهو يريد أن يعلم ما إذا كان الطفل سيدعوه عند ذاك، العم، الخال جوردان، كما سيكون، في الواقع، بالنسبة إلى الطفل.»

فقالت ضاحكة: «إن هذا، في الحقيقة، لم يخطر ببالي.» وألقى راف نظرة إلى حيث كان جوردان واقفاً يتحدث بأدب إلى إحدى عمات راف كان يبدو أنه في طريقه إلى تجاوز الصدمة. وعاد راف ينظر إلى زوجته قائلاً: «ما أجملك، هل علينا أن نبقى هنا؟ ألا يمكننا أن نهرب لفترة قصيرة؟»

«لا بد لنا ان نتصرف، هذه الليلة، بشيء من التهذيب واللياقة.»

كان زواجهما ناجحاً سعيداً قائماً على الحب والتفاهم والصداقة، إذ بينما رفض هو أن يلمس قرشاً واحداً من نقودها كانا يعملان معاً مع جوردان كشركاء في المجمع الترفيهي، ويوماً ما، عندما يتم كل شيء، سيديرون هذا المشروع معاً. لقد وجدت ريا ـ جين أخيراً، مكانها المناسب في الحياة.

وأجابها قائلاً: «لقد حاولنا ذلك، ففشلنا... هيا يا عزيزتي. إنه ذكرى مولدك هذه الليلة. وأظن هذا يستحق أن نحتفل به بمعزل عن الآخرين.»

فقالت: «فيما بعد.»

فأصر قائلاً: «بل الآن.»

وأومأت بالإيجاب قائلة: «حسناً، الآن.» كانت تعلم أن حبهما المقدر يزداد عمقاً يوماً بعد يوم، ليصبح حب العمر كله.

تمـــت